
51
روايات عالمية للجيب
Looloo
www.dvd4arab.com
1984
(الجزء الثاني)
بقلم : جورج أورويل
ترجمة :
د. أحمد خالد توفيق

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدِّم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمي ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

المؤلف



هذا هو الجزء الثانى من قصة (1984) القصة فائقة الشهرة للأديب الكبير (جورج أورويل George Orwell) .

لقد تكلمنا عنه فى الكتيب السابق ، ومن البديهى أن من يقرأ هذا الجزء قد قرأ مقدمة الجزء السابق ، لكننا على كل حال نكرره على سبيل التذكير .

ولد (جورج أورويل George Orwell) ـ أو (أريك أرثر بلير) ـ عام 1903 فى البنغال بالهند ، لأن أباه كان موظفًا فى الحكومة البريطانية هناك . وبعد ولادته بعام انتقلت الأم إلى إنجلترا .. وقد بدأ الكتابة فى سن مبكرة ، وإن لم يشعر بميل كثير نحو حياة المدرسة .

عام 1922 سافر (أورويل) إلى (بورما) ليعمل فى إدارة الشرطة ، وهناك بدأ يفهم أن الاستعمار البريطانى عمل قبيح فاستقال من العمل ، وعاد إلى أوروبا فقيرًا حيث قرر أن يكسب عيشه من الكتابة ، وأطلق على نفسه اسم (جورج أورويل) ، ونشر كتابه الكبير (أيام فى بورما ـ 1934) ..

مال إلى الاتجاه الاشتراكى وسافر لأسبانيا ليكتب عن حربها الأهلية ، ويقاتل مع العمال الماركسيين ، وقد نال من جراء هذا جرحًا فى عنقه ، وقد تعلم من هذه الحرب أن يكره الشيوعية ويفضل الاشتراكية بمفهومها الإنجليزى ، وقد كتب عن هذه الفترة (تحية لكاتالونيا ـ 1938) ، ولسوف نجد نفس المقت للنظم القمعية ـ الشيوعية بالذات ـ فى قصصه التالية .

فى الحرب العالمية الثانية عمل مراسلاً لمحطة (بى بى سى) ، وفى نهاية الحرب كتب رائعته (مزرعة الحيوانات) . كانت هذه القصة فاتحة الخير له ، وكان نجاحه الساحق الآخر هو (1984) ، لكنه لم يعش ليرى هذا النجاح الساحق .. وفى العام 1949 توفى بالدرن ..

* * *

رواية اليوم شهيرة جدًا ، وقد تركت علامة دائمة فى الأدب والسياسة العالميين .. إنها صرخة ضد القمع والحكم الشمولى .. وهى مليئة بالنبوءات التى توشك على أن تتحقق حرفيًا (نعم كانت نبوءات وقت كتابتها لأن العام 1984 كان بعد أربعين سنة ولسوف نشم رائحتها القوية فى أعمال تالية نذكر منها (451 نهرنهايت برادبورى) و(الرجل الراكض ـ ستيفن كينج) و(البرتقالة الميكانيكية ـ آرثر بيرجس) و(عالم جديد رائع ـ ألدوس هكسلى) وربما فيلم (النائم) لـ (وودى الين) ، وقد قدمنا القصتين الأولى والثانية فى هذه السلسلة بالذات ..

لا أجد اليوم تعليقًا على هذه القصة سوى ما كتبه الدكتور (جلال أمين)[*] عام 1991 :

«شاهدت قناة CNN الأمريكية فوجدت فيها ما يجسم ما أكرهه فى وسائل الإعلام الحديثة : الكفاءة منقطعة النظير فى الكذب ، والإلحاح المستمر على الناس لحملهم على تصديق ما لا يجب أن يصدق ، والبرود وتضخيم أتفه الأخبار كأنها بالغة الأهمية ، وتجاهل الأخبار المهمة فعلاً ، ووجوه المذيعين تؤكد شعورى بأننى لست أمام كائنات بشرية بل هى وجوه من شمع تتحرك شفاهها طبقًا لنظام مبرمج سلفًا ، ولا يهدف إلى الإعلام بل غسيل المخ أو بالأحرى تلويثه .

«لكن هذا أكد لى أن ما توقعه (جورج أورويل) قد تحقق بالفعل .... إنه حكى فى قصته (1984) عن أشياء مماثلة لما كان يقوم به البطل الذى كان يعمل فى وزارة الحقيقة (ما يعادل وزارة الإعلام) فقد كان عمله إبدال صورة بأخرى أو اسم باسم .. بل إن (أورويل) ذهب أبعد من ذلك فافترض وجود «لغة جديدة» ، تعرض فيها بعض الكلمات لتغيير أساسى فى معناها بحيث تقبل المتناقضات كأنها ممكنة ،

(*) (العرب ونكبة الكويت) ، مكتبة (مدبولى) ، 1991

تذكرت هذا حين سمعت تلك العبارة الرائعة (نيران صديقة) Friendly fire تمييزًا عن حالة الموت على يد عدو ....

« قال (أورويل) أيضًا إن من ملامح اللغة الجديدة الاختصار الشديد فى كتابة كثير من الكلمات ، حين يراد إخفاء حقيقة لتجنب المشاعر التى يثيرها ذكر الكلمات كاملة .. فأمريكا اليوم تستخدم KIA وWIA وMIA للدلالة على (مقتول فى أثناء العمليات) و(مجروح فى أثناء العمليات) و(مفقود فى أثناء العمليات) بالترتيب كما يستخدم مصطلح TO للإشارة إلى (مسرح العمليات) كأننا بصدد مسرحية للتسلية .

« لقد تعذب صفوة الناس الذين يملكون القدرة على مشاهدة CNN وفهم لغتها الإنجليزية ، بينما لم يشعر البسطاء بشىء ، وهو يماثل نبوءة (أورويل) حين قال : إن عامة الناس (البروليتاريا) ، هم وحدهم الذين يحتفظون بقواهم العقلية بسبب عجزهم عن الفهم .. لقد بلعوا كل شىء ولم يلحقهم الضرر من ذلك .. لأن ما دخل معداتهم خرج منها دون أن يترك أثرًا ، وكأنه حبة ذرة تمر بجسد عصفور وتغادره دون أن تهضمه » .

يكفى الكلام عن الرواية ، ولنقرأ الجزء الثانى من الرواية ذاتها ......

د. أحمد خالد

الفصل العاشر

قالت له (جوليا) :

« يمكننا أن نأتى هنا ثانية .. من المأمون عامة أن تستخدم أى مخبأ مرتين ، لكن ليس لشهر أو اثنين بالطبع .. »

كان سلوكها الآن قد تغير . صار عمليًا يقظًا .. وقد أدرك أنه من الأفضل ترك طقوس السرية لها ، فقد كانت تملك طبيعة مراوغة يفتقر إليها (ونستون) .. كما أنها تعرف بالتفصيل الريف حول (لندن) ، وهى خبرة كونتها من عشرات المخيمات الجماعية السابقة ..

اختارت طريقًا غير الذى جاء منه وقادته إلى محطة مختلفة وقالت له :

ـ « إياك أن تعود أدراجك من نفس الطريق الذى جئت منه .. »

سوف تعود هى أولاً بينما ينتظر هو نصف ساعة قبل أن يتبعها ..

حددت له مكانًا يمكن أن يلتقيا فيه بعد أربعة أيام .. كان شارعًا فى حى فقير حيث يوجد سوق مزدحم صاخبَ ..

ولسوف تقف هى متظاهرة بالبحث عن أربطة حذاء أو خيط للتطريز ، ولو أحست أن الجوّ آمن فلسوف تتمخط بصوت عال إذ يدنو هو ، وإلا فعليه أن يمر بها دون أن يتعرفها .. لكن بشىء من الحظ يمكن أن يتكلما ربع ساعة وسط الزحام ، ويحددا موعدًا آخر ..

قالت له :

- « الآن يجب أن أرحل .. يجب أن أعود فى التاسعة والنصف .. أليس هذا مزعجًا ؟ والآن وداعًا ياحبيبى .. وداعًا ! »

وسرعان ما توارت بين الأشجار دون ضوضاء ..

حتى هذه اللحظة لم يعرف لقبها ولا عنوانها .. لكن لا فارق .. فمن المستحيل أن يتقابلا فى مكان مغلق أو يتبادلا أى نوع من الكلام المكتوب .

لفترة طويلة ظلا يتقابلان فى الشوارع ، ولمدة نصف ساعة فى كل مرة ، وكانا يمشيان دون أن ينظرا لبعضهما . ويتبادلان عبارات قصيرة كأنها البرق ، سرعان ماتتوقف لدى اقترابهما من تليسكرين أو رؤية زى الحزب .. وبدا أن (جوليا) تجيد تمامًا هذا النوع من المحادثات التى كانت تسميها (الكلام بالتقسيط) ، بل كانت تجيد الكلام وشفتاها مغلقتان ..

بالإضافة لهذا كان وقتها ضيقًا بسبب انشغالها بالاجتماعات النسائية للحزب ، وكتابة لافتات أسبوع المقت ، وكانت تقول له إن هذا مهم للتنكر .. لو أنك التزمت بالقواعد الصغرى ، فمن السهل أن تخرق القواعد الكبرى .

كانت (جوليا) فى السادسة والعشرين ، تعيش فى بيت شباب مع ثلاثين فتاة أخرى (كانت تقول له : دائمًا أنا وسط عفن النساء ! لكم أكره النساء !!) كانت تعمل على الآلات التى تكتب القصص ، وكانت تحب هذا العمل لأنها تجد نفسها مع المحركات .. منذ أن تبدأ الفكرة كتوجيه لدى إدارة التخطيط ، حتى تمر باللمسات الأخيرة لدى فرقة (إعادة الكتابة) ، لكنها لم تكن تحب القراءة .. إن الكتب مجرد سلعة يجب إنتاجها بوفرة مثلها مثل أربطة الحذاء أو المربى .

كما أنها عملت لفترة فى إدارة الأدب الإباحى Pornosec ، حيث ينتج الحزب كتبًا مصورة تحمل عناوين مثل (ليلة فى مدرسة البنات) .. إلخ .. وهذه كانت تباع لشباب البروليتاريا الذى يقبل على شرائها معتقدًا أنه يقرأ شيئا (غير قانونى) .. بينما الحزب هو المصدر الوحيد لهذه الكتيبات ، والغريب هنا أن الإدارة كانت تتكون من الفتيات فقط ؛ لأن الحزب يخشى أن يتأثر الرجال بالقاذورات التى يتم إنتاجها هناك .

لم تكن (جوليا) ذات ميول ثورية ، ولم تكن تؤمن بوجود أية ثورة ضد الحزب .. فقط كانت تريد أن تستمتع بحياتها وتبقى

حية فى الوقت ذاته .. إنها ولدت تحت سيطرة الحزب واعتبرته شيئًا أزليًا كالسماء .. لا أمل فى تدميره ، فقط تحاول أن تتحاشاه كما يتفادى الأرنب كلب الصيد .

ـ « كيف كانت زوجتك ؟ »

ـ « كانت .. مثلما تقول اللغة الجديدة (نقية التفكير) .. كانت غير قادرة علي التفكير فى أى شىء يمس الحزب .. لم تكن تفكر أصلا .. كانت تأخذنا إلى حفل ممل كل أسبوع .. كانت تكرهه من أعماقها لكنها لم تكف قط عن الذهاب إليه بإصرار ، وتدعو ذلك .... »

« دعنى أخمن .. واجبنا نحو الحزب .. »

كان الحزب يعارض العلاقات العاطفية باعتبارها نشاطًا فرديًا متمردًا .. ثم إن كبت العواطف كان يقود الناس إلى الهستيريا ، وهذه الهستيريا يسهل تحويلها إلى عدوانية .. رغبة فى الحرب .. كراهية لأعداء الحزب .

باختصار كان الحزب يستغل تلك الطاقة الطبيعية الجامحة ويحولها لصالحه .. هكذا يهتم الناس بالأخ الأكبر أكثر ويصرخون فى المظاهرات ..

نفس الشىء حدث للأسرة .. إن الأسرة لا يمكن تدميرها ، لهذا يربى الأطفال على أن ينقلبوا ضد ذويهم .. هكذا تحولت الأسرة إلى أداة تحيطك بالمخبرين ليلا ونهارًا ..

زوجته (كاترين) كانت بالتأكيد ستبلغ أمره لشرطة الأفكار ، فقط لو لم تكن غبية إلى هذا الحد ..

ـ « لماذا لم تضربها علقة ساخنة ؟ »

ـ « تمنيت ذلك لكن هذا ما كان ليغير أى شىء .. »

ـ « ولماذا تأسف إذن ما دام الأمر بلا جدوى ؟ »

ـ « أعرف أن الوضع مستحيل ولن يتغير .. لكنى تمنيت لو فعلت شيئًا إيجابيًا .. ما دامت الهزيمة أكيدة فإن بعض الهزائم تكون أفضل منن سواها .. »

لم تقبل هذه الفكرة .. كانت تكره الاعتراف بالهزيمة بطبعها ؛ لكنها لم تكن تعرف أنه فى اللحظة التى تبدأ فيها أفكارك فى معارضة الحزب ، فإنك تعلن أنك قد صرت جثة ..

* * *

الفصل الحادى عشر

أدار (ونستون) عينيه فى الغرفة الصغيرة التى تقع فوق متجر مستر (شارنجتون) .. جوار النافذة كان الفراش مغطى بأغطية ممزقة ووسادة عارية ، راح قلبه يقول له : حماقة .. حماقة .. حماقة مجانية انتحارية .. من بين كل الجرائم التى يمكن أن يرتكبها عضو الحزب هذه أقلها قابلية للإخفاء ..

لقد تخلى له (تشارنجتون) عن الغرفة . إن الفردية والخصوصية شىء ثمين جداً .. الحاجة إلى أن تكون فى مكان تبقى فيه وحيداً ، كان هذا جنوناً .. وكان يعرف أنه يخطو نحو قبره بشكل محتم أكيد ، كما أن رقم 99 يسبق رقم 100.. لابد من أن يأتى .. فقط أنت تحاول أن تؤجله بعض الوقت ..



لقد اختفى (سايم) .. جاء يوم لم يعد فيه فى العمل ، وقد علق قليلون على غيابه ، فى اليوم التالى لم يذكر أحد اسمه .. وفى اليوم الثالث اتجه (ونستون) إلى الردهة فى قسم السجلات ليرى قائمة الملحوظات ، كانت إحدى القوائم تتضمن أسماء لجنة الشطرنج التى كان (سايم) عضواً فيها .. كانت كما هى وإن قصرت اسماً واحداً ، وكانت هذه هى الإجابة .. (سايم) قد كف عن الوجود .. بل هو لم يوجد قط ..

كان الطقس حارًا وفى متاهات الوزارة ظلت أجهزة التكييف تعمل ، فاحتفظت الغرف بحرارة معقولة ، ولكن فى الخارج كانت الحرارة حارقة وكانت رائحة أنفاق المترو فى ساعة الذروة لاتطاق ، كانت استعدادات أسبوع المقت تجرى على قدم وساق .. مواكب .. لقاءات .. استعراضات عسكرية .. محاضرات .. عروض فيلمية ، كل هذا يجب أن ينسق من جديد ، الأغانى تكتب .. الإشاعات تنشر .. الصور تزيف ..

وفى المساء كان الجو محمومًا أكثر من اللازم .. القنابل الصاروخية تهوى أكثر من المعتاد .. وبعيدًا كانت انفجارات صاخبة لايعرف أحد كنهها ولكن تحيط بها إشاعات عنيفة ..

ثم تأليف النشيد الجديد الخاص بأسبوع المقت (واسمه نشيد المقت) وكان كأنه دقات طبل متوحشة .. مع زئير مئات الأصوات .. كان الناس مولعين به فى الشوارع ، وكان طفلا (بارسون) يعزفانه طيلة اليوم ، أما (بارسون) فقد كان يؤكد أن (فكتوريا ماتشنز) وحدها ستعلق أربعمائة متر من الأعلام .. كان فخورًا سعيدًا كطائر .. كان فى كل مكان فى الآن ذاته .. يدق .. ينشر .. يشد .. يرتجل .. ويطلق من كل ثنية فى جسده مئونة لاتنتهى من العرق كريه الرائحة .

وفى كل مكان انتشر ملصق عملاق يمثل جنديًا من (إيوراسيا) .. ينظر لك بوجهه المغولى وهو يصوب بندقية

نحوك .. يمكنك أن تراها من أية زاوية .. وقد أثر هذا فى العامة الذين لا يبالون عامة بالمشاعر الوطنية .. وساعد على هذا أن القنابل كانت تسقط أكثر من اللازم هذه الأيام ..

لهذا خرجت المظاهرات الغاضبة ، وأحرقت تماثيل (جولدشتاين) ، وأحرقت مئات النسخ من ملصق الجندى ..

لذا كان يهرب إلى تلك الغرفة متجر مستر (تشارنجتون) .. لقد صارت هذه الغرفة كأنها الملجأ .. إن بلوغها خطر لكنها هى ذاتها تبدو آمنة أبدية .. كأنها عالم حيوانات منقرضة .. مستر (تشارنجتون) نفسه كان حيوانًا منقرضًا ، حيث يجلس فى متجره لا يبيع شيئًا على الإطلاق ، ولا يخرج منه أبدًا .. ويتعامل مع بضاعته كأنه جامع تحف وليس تاجرًا ..

كانت (جوليا) تلقى (ونستون) من حين لآخر هناك ، فيحلمان معًا بأنهما سيظلان آمنين ، ولسوف يلتقيان حتى تنتهى حياتهما .. لربما تموت (كاترين) زوجته وبمعجزة ما يتمكنان من الزواج .. لربما ينتحران معًا أو يفران ويغيران شخصتيهما ، ليذوبا وسط (البروليتاريا) .. يعملان فى مصنع ويقضيان حياتهما دون أن يجدهما أحد ، كانا يعرفان أن هذا هراء .. فى الحقيقة لا يمكن الفرار .. وحتى الانتحار لن يفعلاه لأنهما سيظلان يعيشان من يوم ليوم بدافع غريزى كالذى يجعلك تجذب الهواء إلى رئتيك ..

كانت تؤمن أن كل واحد يكره الحزب ، لكنه لا يجد الشجاعة ليعلن هذا ، وما كانت تؤمن بوجود تنظيم مثل (الأخوة) يرتب هذه الأمور . كانت تعتقد أن الكلام عن (جولدشتاين) وجيشه تحت الأرض مجرد هراء اختلقه الحزب ، وعليك أن تتظاهر بأنك تصدقه .

لقد شاركت كثيرًا فى الصراخ فى أثناء عمليات الإعدام العلنى ، لأشخاص لا تعرفهم ارتكبوا أشياء لا تؤمن بأنها جرائم .. لكنها كانت تقف من الفجر حتى المساء صارخة بعنف : الموت للخونة !

وفى اجتماعات المقت كانت تبز الجميع في الهتاف ضد (جولدشتاين) ، برغم أنها لا تعرف شيئا عن الرجل ولا ما قام به .. إن الحزب لا يُقهر وسيظل للأبد .. الثورة الوحيدة ضده هى أن تكف عن طاعة أوامره سرًا ..

كانت غريبة فى معتقداتها ، وأقل قبولاً منه لدعاية الحزب .. فحين حدثها ذات مرة عن الحرب على (أيوراسيا) كان رأيها أنه لا توجد حرب .. القنابل الصاروخية التى تقتل الناس فى الشوارع تطلقها حكومة (أوشيانيا) ذاتها . فقط لتبقى الناس خائفين ..

هذه فكرة لم تخطر له ببال قط ..

كانت مستعدة لقبول التخاريف فقط ، لأنه لا فارق لديها بين هراء وهراء آخر .. وقد أدهشها حين قال لها إن الحزب لم

يخترع الطائرة .. الطائرة كانت موجودة قبل أن يولد .. اندهشت قليلاً، ثم نسيت الأمر .. فأية أهمية لمعرفة من اخترع الطائرة على كل حال ؟

مثلاً أثارت غيظه لأنها نسيت أنه منذ أربعة أعوام كانت (أوشيانيا) تحارب (إيستاسيا) .. كانت تحسب أنهم كانوا يحاربون (أيوراسيا) منذ الأزل .. وقد أدهشه أنها لا تبالى كثيرًا بتذكر اسم العدو الذى يحاربونه .

ـ « ما الفارق ؟ نحن نعرف أن هناك حربًا لعينة تلى حربًا أخرى لعينة .. والأخبار كلها كذب على كل حال .. »

لكنها لا تفهم بشاعة ألا يكون هناك ماضٍ . كل شىء هو حاضر ممتد فيه الحزب دومًا على حق .. لقد تمّ تزوير التاريخ ، ولكنى لا أقدر على إثبات هذا برغم أننى زيفته بنفسى .. الدليل الوحيد هو فى عقلى أنا ..

كانت لا تبالى بشىء ولا تفهم كلمة عن فلسفة الحزب ..

إن فكرة الحزب تبدو واضحة ناجحة مع الناس الذين لا يفهمونها .. يمكن جعلهم يقبلون خرق الحقيقة لأنهم لا يفهمون فداحة ما يطلب منهم .. ويعجزهم عن الفهم ، يحتفظون بعقولهم .. كانوا يبلعون أى شىء فلا يؤذيهم أى شىء يبتلعونه .. لأنه لا يترك أثرًا كأنه حبة ذرة تخرج دون هضم من معدة عصفور ..

* * *

الفصل الثانى عشر

كان يمشى فى الردهة الطويلة بالوزارة .. وكان تقريبًا عند البقعة التى ناولته فيها (جوليا) المذكرة ، حين أحس بأن شخصًا أضخم منه يمشي وراءه .. أطلق هذا الشخص - أيًا من كان - سعلة كمقدمة للكلام كما هو واضح ، فتوقف (ونستون) واستدار .. كان هذا (أوبرايان)(*) .

أخيرًا هما وجهًا لوجه .. وبدا له أن رغبته الوحيدة هى الفرار ، وتواثب قلبه بوحشية ، لكن (أوبرايان) واصل المشى واضعًا يدًا ودودًا للحظة على ذراع (ونستون) بحيث صارا يمشيان جنبًا لجنب ، وبدأ يتكلم بتلك الطريقة المجاملة التى تميزه عن باقى أعضاء الدائرة الداخلية للحزب .

- « وددت دومًا أن أتحدث إليك . كنت أقرأ مقالة من مقالاتك عن (اللغة الجديدة) فى (التايمز) .. أنت مهتم باللغة الجديدة بشكل أكاديمى .. أليس كذلك ؟ »

- « ليس بشكل أكاديمى .. أنا مجرد هاوٍ ، ولم أتخصص يومًا فى التركيب اللغوى .. »

- « لكنك كتبته ببراعة .. كنت أتحدث مع صديق من أصدقائك منذ فترة . لقد نسيت اسمه .. »

(*) أذكر القارئ أن (أوبرايان) هو عضو الحزب المهم ، الذى يشعر (ونستون) بأن ولاءه - ربما - ليس كاملاً للحزب ..

خفق قلب (ونستون) .. من الجلى أن هذه إشارة إلى (سايم) .. لكن (سايم) قد تلاشى .. صار (لاشخص) .. وأية إشارة له قد تكون خطرة بشكل مميت ، هل هذا تلميح ما ؟ وواصل الاثنان المشى فى الردهة ، ثم إن (أوبرايان) أصلح من وضع عويناته بتلك الطريقة الراقية التى يجيدها وأردف :

ـ « لاحظت أنك استعملت فى مقالك لفظتين منقرضتين .. هل رأيت الطبعة العاشرة من قاموس (اللغة الجديدة) ؟ »

ـ « لا .. لم نعرف أنه صدر .. مازلنا نستعمل الطبعة التاسعة فى قسم السجلات .. »

ـ « لم تصدر بعد ، لكن هناك طبعات محدودة منها .. بمكننى أن أطلعك عليها لو أردت . »

ـ « بالتأكيد .. »

قالها وهو يتحرق لمعرفة إلام يقود هذا ..

ـ « ربما تأتى لدارى فى أى وقت كى تأخذها .. سأعطيك عنوانى ؟ »

وقف (أوبرايان) أمام التليسكرين ، فى وضع يسمح لكل من يراقب الشاشة إن يرى ما يكتبه ، وأخرج قلمًا وورقة وخط عنوانًا .. ثم ناول الوريقة لـ (ونستون) .

- « أكون فى البيت عادة ليلاً .. لكن لو لم أكن فإن خادمى سيعطيك القاموس .. »

وانصرف بينما وقف (ونستون) ممسكًا بقطعة الورق التى لم يكن هناك داع لإخفائها ، إلا أنه فى وقت لاحق تخلص منها فى إحدى الفتحات المخصصة للمهملات ،

لم يكن هناك معنى لهذه المحادثة .. بل من الواضح أنها مفتعلة فقط كى يعرف عنوان (أوبرايان) .. وكان هذا مهمًا ، لأنه من المستحيل أن تعرف أين يعيش أى واحد .

لم يقل الرجل شيئًا ، فلربما ترك له رسالة فى القاموس .. لكن هناك شيئًا واحدًا : المؤامرة التى حلم بها (ونستون) كثيرًا موجودة فعلاً .. بل إنه على حافتها الخارجية الآن ..

كان فقط يعرف أنه عاجلاً أم آجلاً سيقبل دعوة (أوبرايان) .. ربما اليوم أو غدًا ..

لقد تحرك من الأفكار إلى الكلمات .. والآن من الكلمات إلى الأفعال .. الخطوة بعد هذا ستكون فى وزارة الحب .. هذا محتم وإن كان مفزعًا .. كأنما ينتقص من حياتك .. لقد شعر برجفة تتملكه وهو يكلم (أوبرايان) .. كان يشعر بأنه يخطو إلى رطوبة قبره ، وكان يعرف دومًا أن القبر ينتظره .

الفصل الثالث عشر

قال لـ (جوليا) :

ـ « هل تعرفين ؟ حتى هذه اللحظة كنت أعتقد أننى قتلت أمى ؟ »

سألته :

ـ « لماذا قتلتها ؟ »

ـ « لم أقتلها .. ليس بالمعنى المادى ؟ »

لا بد أنه كان فى الثانية عشرة وقتها .. لقد اختفى أبوه قبل ذلك لا يذكر منذ متى .. فقط يذكر الصخب والضوضاء والذعر المتكرر من الغارات الجوية ، والاختباء فى مترو الأنفاق .. عصابات الشباب من ذوى القمصان الموحدة ، والطوابير على المخابز ، وطلقات الرصاص المتقطعة من بعيد .. وأهم من كل هذا حقيقة أنه لا يوجد ما يكفى للأكل ..حين اختفى أبوه لم تظهر أمه أى حزن أو دهشة .. ولكن تغيرًا طرأ عليها ، بدا كأنما فقدت حيويتها تمامًا ،

وبدا لـ (ونستون) أنها تنتظر شيئًا توقن بحدوثه ، كانت تقوم بالمطلوب منها .. تطهو وتغسل وترتب الفراش وتمسح الأرضية .. دائمًا بحركة بطيئة كأنما هى قالب نحت من الصلصال يتحرك من تلقاء ذاته ، أحيانًا كانت تجلس لساعات فى الفراش تعنى بأخته .. التى صار وجهها كوجه قرد من فرط الهزال ، وأحيانًا تضم (ونستون) إلى صدرها دون أن تقول شيئًا .

يتذكر أمه منحنيةً فوق موقد الكيروسين تحرك شيئًا ما فى وعاء الطعام .. كان يسألها بإلحاح مرارًا وتكرارًا لماذا لايوجد المزيد من الطعام .. يذكر نبرات صوته وهو يصرخ محتجًا .. وكانت أمه مستعدة دومًا لإعطائه أكثر من نصيبه ، فقد كانت تؤمن أنه ـ الولد ـ يجب أن ينال نصيبًا أكبر ، لكن مهما أعطته كان يطلب المزيد ، وفى كل مرة تذكره ألا يكون أنانيًا وأن يتذكر أخته السقيمة ، لكن بلا جدوى ، كان يعرف أنه يجيع الاثنتين الأخريين لكن لم تكن له حيلة فى هذا .. بل كان يشعر بأن لديه الحق فى ذلك .. وبين الوجبات حين تغفل عين الأم عنه كان يسطو على مخزون الطعام البائس فوق الرف ..

ذات مرة كانت هناك حصة شيكولاته .. ولم تكن هناك حصص كثيرة في ذلك الشهر ، وكان لوح يزن أوقيتين يوزع على ثلاثتهم .. فجأة وجد نفسه يطالب بالقطعة كلها .. طلبت منه أمه ألا يكون جشعًا ، وبدأ الكثير من الصراخ والاحتجاج والمساومة والدموع .. بينما أخته الصغيرة تتعلق بأمه بالضبط كأنها قرد صغير ، وتنظر له بعينين واسعتين حزينتين ..

في النهاية قسمت الأم الشيكولاته إلى ثلاثة أرباع أعطته إياها ، وربع لأخته .. ظلت أخته ترمق القطعة لفترة لا تعرف كنهها ، هنا انقض (ونستون) على القطعة لينزعها من يد أخته ويفر من الغرفة ..

- « (ونستون) !! عد هنا وأعط الشيكولاته لأختك ؟ »

توقف في منتصف المسافة ونظر للوراء .. فهمت الطفلة أنها سلبت شيئًا فبدأت تئن بوهن .. هنا للمرة الأولى أدرك أن الطفلة تموت .. أسرع يركض هاربًا بينما الشيكولاته تذوب في يده ..

ولم ير أمه ثانية .. لقد التهم الشيكولاته فبدأ يشعر ببعض الخزي من نفسه .. وراح يجوب الشوارع لساعات حتى أعاده

الجوع للبيت .. وحين عاد كانت أمه قد اختفت .. لم يختف شيء في الحجرة إلا أمه وأخته .. وحتى اليوم ليس متأكدًا تمامًا إن كانت أمه قد ماتت أم لا ..

من الممكن أن تكون أرسلت لمعسكر للعمل الإجبارى .. أما أخته فلربما نقلت إلى إحدى مستعمرات الأطفال ناقصى الأهلية (مراكز الإصلاح كما يسمونها) .. أو ربما تركوها حيث هى لتموت ..

حكى لـ (جوليا) قصة اختفاء أمه فقالت :

ـ « أعتقد أنك كنت خنزيرًا صغيرًا فى ذلك الوقت .. كل الأطفال خنازير .. »

لم يعتقد أن أمه كانت غير عادية .. ربما كانت محدودة الذكاء .. لكن كان فيها نوع خاص من النبل .. نوع من الطهر .. حين لا تملك ما تعطيه لشخص تحبه فإنك تمنحه الحب فقط .. لقد ذهبت آخر قطعة من الشيكولاته ، لهذا احتضنت طفلتها إلى صدرها .. لا جدوى من عمل كهذا ولا يغير شيئًا ولم يجلب المزيد من الشيكولاته .. لكن بدا من الطبيعى لها أن تفعل هذا ..

تلك المرأة فى القارب فى ذلك الفيلم غطت الطفل بذراعها .. وهذا لن يقيه من الرصاص أكثر مما تقيه ورقة .. الشيء المخيف هنا أن الحزب استلبك تقدير المشاعر .. جعلك تدرك أن العواطف لا قيمة لها ..

بينما منذ جيلين لم يكن الناس يفكرون إلا بعواطفهم ، ولا يهمهم شيء إلا السلامة من يحبون .. عناق .. دمعة .. كلمة تهمس فى أذن محتضر .. هذه أشياء لها قيمة فى حد ذاتها ..

البروليتاريا احتفظوا بعواطفهم .. ليس لهم ولاء إلا تجاه بعضهم .. إنهم أكثر إنسانية ورقة ..

ـ « البروليتاريا كائنات بشرية .. بينما نحن لسنا كذلك .. »

قالت (جوليا) :

ـ « لم لا نكون ؟ »

ـ « ألم يخطر لك أنه من الخير ألا ترينى ثانية ؟ أنت شابة ونقية .. ولو ابتعدت عنى الآن فمن الممكن أن تعيشى خمسين عامًا أخرى .. »

ـ « فكرت فى الأمر .. لكن لا .. لا تكن منخفض المعنويات .. لقد برهنت على براعتى فى البقاء حية .. »

ـ « لو قبضوا علينا فلن يوجد ما نستطيع عمله لبعضنا .. لو تكلمت فلسوف يعدمونك .. ولو عذبونى ولم أتكلم فلسوف يعدمونك أيضًا .. لا فارق .. لن يعرف أحدنا إن كان الآخر حيًا .. فقط علينا ألا يخون أحدنا الآخر برغم أن هذا لن يحدث أى فارق .. »

ـ « لو كنت تعنى الاعتراف فلسوف نعترف .. الجميع يعترف .. لاحيلة لك لأنهم يعذبونك .. »

ـ « لا أعنى الاعتراف .. الاعتراف ليس خيانة .. أتكلم عن المشاعر .. لو جعلونى أكف عن حبك فهذه هى الخيانة فعلاً .. »

ـ « ليس بوسعهم هذا .. يمكنهم أن يجعلوك تقول أى شىء ، لكنهم لا يستطيعون جعلك تؤمن به .. لن يصلوا إلى داخلك .. »

فكر فى شاشات التليسكرين بعيونها التى لاتنام .. يمكنهم التجسس عليك لكن لو احتفظت بعقلك فسوف تنتصر عليهم .. برغم براعتهم ليس بوسعهم معرفة ما تفكر فيه .. لا يعرف أحد ما يجرى فى (وزارة الحب) لكن بوسعك التخمين : تعذيب .. عقاقير .. أجهزة تسجل ردود أفعالك العصبية .. أرق يرهقك بالتدريج .. إن الحقائق يمكن الحصول عليها .. يمكن اعتصارها منك . لكن ما الفارق ؟ ليس بوسعهم تغيير مشاعرك ، لأنك أنت نفسك لاتستطيع مهما حاولت ..

* * *

الفصل الرابع عشر

لقد نجحا أخيرًا ! فعلاها أخيرًا !

كانت الغرفة التى يقفان فيها طويلة ناعمة الإضاءة ، وقد تم تعتيم شاشة التليسكرين . والبساط الأزرق الغامق يعطيك شعورًا بأن قدميك تغوصان فى المخمل . وفى نهاية الغرفة يجلس (أوبرايان) إلى منضدة وجواره كومتان من الورق . ولم يكلف نفسه بالنظر لأعلى حين أدخل الخادم (ونستون) و(جوليا) ..

كان قلب (ونستون) ينبض بقوة حتى إنه شك فى قدرته على الكلام .. كان عملاً أخرق أن يأتيا هنا ، وحماقة أن يأتيا معًا .. برغم أنهما جاءا من طريقين مختلفين والتقيا على عتبة (أوبرايان) ..

كان من النادر جدًا أن يرى المرء داخل منازل دائرة الحزب الداخلية . حتى المنطقة السكنية كانت لها رائحة غريبة هى رائحة الطعام الجيد والطباق الجيد ، والخدم بثيابهم البيضاء يهرعون من هنا وهناك ..

لقد سمح لهما خادم (أوبرايان) بالدخول دون اعتراض .. كان شابًا أسود الشعر له وجه يشبه الماسة عديم التعبير .

واقتادهما عبر ممر له جدران نظيفة .. ولم يكن (ونستون) يذكر أنه رأى فى حياته جدارًا لم يتسخ من لمس الأجساد ..

كانت بين يدى (أوبرايان) قصاصة ورق يدرسها بإمعان . ولمدة عشرين ثانية لم يتحرك ، ثم جذب آلة الإملاء نحوه وأملى رسالة برطانة الوزارات :

" Items One Comna Five Comma Seven Approved Fullwise Stop Suggestion Contained Item Six doubleplus Ridiculous Verging crimethink Cancel Stop Unproceed Constructionwise "

ومشى متجهًا لهما فوق السجادة التى تبتلع صوت الخطوات .. بدا كأنما تخفف نوعًا من الجو الرسمى لكنه كان متجهًا كأنما يكره المقاطعة .. هنا شعر (ونستون) بالحرج .. على أى أساس افترض أن (أوبرايان) متآمر ضد الحزب ؟ أعلى نظرات عيون وإشارات ؟ لم يعد بوسعه أن يدعى أنه جاء لاقتراض القاموس .. لأن وجود (جوليا) لا يمكن تفسيره فى هذه الحالة ..

استدار (أوبرايان) وضغط على زر شاشة التليسكرين ، فاختفى الصوت .. هنا لم يتمالك (ونستون) أن يسأل :

- « أنت .. تستطيع أن تغلقه ؟ »

- «نعم نستطيع أن نغلقه مؤقتًا .. إن لنا هذه المزية .. »

بدا أنه ينتظر من (ونستون) أن يتكلم .. لكن عن أى شىء؟

لقد صارت الغرفة صامتة كالموتى بعد إغلاق الشاشة .. ثم بدا وجه (أوبرايان) يتخذ ما يشبه الابتسامة .. وبحركته المعتادة أعاد تثبيت العوينات على أنفه ، وقال :

- « هل أقولها أم تفعل أنت ؟ »

- « هل أنت متأكد من أن هذا الشىء مغلق ؟ لقد جئنا لأننا .... »

وللمرة الأولى أدرك غموض دوافعه .. فهو لم يكن يعرف ما يريد من (أوبرايان) .. وبدأ يتكلم فكان ما قاله مليئًا بالزيف :

- « نؤمن بوجود مؤامرة .. منظمة سرية تعمل ضد الحزب .. وأنك متورط معها .. نريد أن ننضم لها فنحن أعداء الحزب .. نحن مجرما أفكار .. نحن خائنان .. أقول هذا لأننا نضع نفسينا تحت رحمتك .. »

ثم توقف لأن الباب من خلفه انفتح .. كان هذا هو الخادم يحمل صينية عليها زجاجة وكئوس ..

قال (اوبرايان) بلا مبالاة :

- « (مارتين) واحد منا . ضع المشروبات هنا يا (مارتين) .. ثم اجلس معنا .. يمكنك أن تكف عن أن تكون خادمًا للعشر الدقائق التالية .. »

جلس الرجل على راحته .. وبرغم هذا لم يتخلص بعد من طابع الخادم ..

رفع (أوبرايان) كأسه وقال :

- « سنشرب نخب قائدنا .. (إمانويل جولدشتاين) .. »

شرب (ونستون) كأسه بلهفة .. وقال :

- « إذن هناك شخص مثل (جولدشتاين) ؟ »

- « نعم .. هناك شخص كهذا .. وهو حى .. لا أعرف أين يقينًا .. »

- « والمؤامرة .. التنظيم ؟ هل هو حقيقى وليس مجرد اختراع من (شرطة الأفكار) ؟ »

- « بل هى حق .. (الأخوة) كما نناديها .. سأعود لهذا فيما بعد .. »

ثم نظر إلى ساعته وقال :

ـ « ليس من الحكمة ـ حتى بالنسبة لأعضاء دائرة الحزب الداخلية ـ أن يغلقوا التليسكرين أكثر من نصف ساعة .. ما كان لكما أن تأتيا معًا ، وعليكما أن ترحلا منفصلين .. أنت يا رفيقة .. » ـ وحنى رأسه لـ (جوليا) ـ « سترحلين أولاً .. لدينا عشرون دقيقة لهذا سأبدأ بسؤالك : ماذا بوسعك أن تفعلى ؟ »

قال (ونستون) :

ـ « كل ما بوسعنا .. »

ـ « مستعدان للتخلى عن حياتكما ؟ »

ـ « نعم .. »

ـ « ترتكبان عمليات تخريب قد تقتل مئات الأبرياء ؟ »

ـ « نعم .. »

ـ « تزيفان .. تسرقان .. تخربان عقول الأطفال .. ترتكبان أى شىء يخفف من قبضة الحزب الأخلاقية ؟ »

ـ « نعم .. »

- « مستعدان لفقد هويتكما .. وأن تعيشا بقية حياتكما كسقاة أو عمال فى مرفأ ؟ »

- « نعم .. »

- « مستعدان للانفصال عن بعضكما ؟ »

- « لا .. »

كذا صاحت (جوليا) .. واستغرق (ونستون) الكثير من الوقت حتى يخرج مقاطع رده :

- « لا .. »

قال (أوبرايان) لـ (مارتن) :

- « ربما كان من الأفضل أن تعود إلى المطبخ يا (مارتين) .. ألق نظرة على هذين الرفيقين .. لسوف تراهما ثانية أما أنا فلا .. »

دون كلمة أو تعبير على وجهه انسحب (مارتين) ، على حين راح (أوبرايان) يجوب الغرفة ويده فى جيبه والأخرى تمسك بالسيجار ..

- « يجب أن تفهم أنك ستحارب فى الظلام .. ستطيع

أوامر لا تعرف جدواها ولا ممن صدرت .. سوف أرسل لك كتابًا يوضح حقيقة المجتمع الذى نعيش فيه وكيف ننوى هدمه .. فمتى قرأته صرت واحدًا من (الأخوة) .. سيكون عليك أن ترده لنا خلال أربعة عشرة يومًا .. يمكنني أن أخبرك أن (الأخوة) موجودة لكنك لن تعرف أبدًا ما إذا كانت تضم مائة أم مائة مليون .. الاتصال سيكون عن طريق (مارتين) .. وحين يقبض عليك فى النهاية سوف تعترف .. لامفر من هذا .. لكن سيكون هناك القليل جدًا مما تعترف به .. لن تستطيع خيانة أكثر من عدد محدود من الرجال الذين لاقيمة لهم .. وحتى لو خنتنى فلسوف أكون وقتها ميتًا أو شخصًا آخر ذا وجه آخر .. »

كان (ونستون) الآن منبهرًا بـ (أوبرايان) .. حين ترى كتفيه العريضتين ووجهه القبيح جدًا والراقى جدًا برغم هذا ، فإنك تعتقد أن هذا شخص لا يهزم ..

ـ « إن الأخوة لا يمكن أن تزول لأن أفرادها لا يجتمعون تحت الأرض ، ويتفاهمون بالشفرة .. لا أحد منهم يعرف إلا أقل القليل .. و(جولدشتاين) نفسه لا يعرف من يعمل معه .. لا توجد قائمة بالأسماء .. وهذا سر قوة (الأخوة) لأنها ليست تنظيمًا بالمعنى المعروف .. وحين يقبض عليكما لن

يساعدكما أحد .. نحن لا نساعد أعضاءنا .. نحن موتى فى هذا العالم .. حياتنا الوحيدة الحقيقية هى فى الغد .. إننا ننشر فكرة .. مجرد فكرة من جيل لآخر برغم أنف شرطة الأفكار .. »

ثم نظر لساعته وقال لـ (جوليا) :

- « حان وقت الرحيل يا رفيقة .. »

فلما انصرفت ، بدا كأنما نسى وجودها تمامًا وقال :

- « ثمة تفاصيل مهمة .. أعتقد أن لديك مكانًا للاختباء ؟ »

فحكى له (ونستون) عن الغرفة فوق متجر (تشارنجتون) ..

- « هذا يصلح .. لكن من المهم أن تغير المكان من حين لآخر .. هل لديك اسئلة قبل رحيلك ؟ »

ساد الصمت لبرهة .. ثم سأله (ونستون) دون تفكير :

- « هل سمعت ذات مرة أغنية تقول : (برتقال وليمون) .. هذا ما تقوله أجراس (سانت كليمنز) . أجراس (سانت مارتين) تقول : أنت مدين لى بثلاثة أرباع البنس .. »

فى جدية استكمل (أوبرايان) الأغنية :

ـ « متى ستدفع لى ؟ هذا ما تقوله أجراس (بيلى) .. حين أصير ثريًا .. هذا ما تقوله أجراس (شورديتش) .. »

وإذ نهض (ونستون) مد (أوبرايان) يده له ..

قبضته القوية هشمت عظام يد (أوبريان) .. فما إن ابتعد حتى نظر للوراء فأدرك أن (أوبرايان) يطرده الآن من تفكيره .. يمد يده ليفتح التليسكرين ، وبعد دقائق سيعود للعمل فى مهمته المهمة للحزب ..



الفصل الخامس عشر

صار (ونستون) جيلاتينيًا من التعب ، وجيلاتينى هو اللفظ المناسب .. بدا أن جسده لايحمل فقط رخاوة الجيلى بل وشفافيته أيضًا .. كأن الجلد والدم واللمف فارقوا يده تاركين العظام والأعصاب ..

لقد عمل أكثر من تسعين ساعة في خمسة أيام ، وكذا فعل كل من يعمل في الوزارة . والآن انتهى العمل .. يمكنه أن يقضى ست ساعات في مخبئه وتسعًا في فراشه . مشى نحو متجر مستر (تشارنجتون) وهو يحمل الحقيبة الثقيلة ترتطم بركبته ، وبها الكتاب الذى لم يقرأه برغم أنه حصل عليه منذ ستة أيام .

بعد ستة أيام من المواكب .. من الخطب .. من الصراخ .. من الرايات .. من الملصقات .. من الأفلام .. من دق الطبول ونفخ النفير .. من هدير الدبابات .. من زئير أسراب الطائرات .. بعد ستة أيام من هذا ، حينما بلغ المقت لـ (أيوراسيا) حد الجنون .. لدرجة أنه لو أمسك الناس بأسرى (أيوراسيا) الألفين ، لمزقوهم إلى قطع صغيرة قبل شنقهم العلنى . هنا فقط أعلن أن (أوشيانيا) ليست فى حرب مع (أيوراسيا) .. بل هى فى حرب مع (إستاسيا) .. إن (إيوراسيا) حليف ..

لم يحس أحد بوجود تغيير .. لقد كانت مظاهرة حقد كبيرة والمشاعر تغلى ، حين وصل من يحمل ورقة صغيرة لممثل الحزب .. فتحها وقرأ ما فيها ثم أعلن أن هذا الحقد كله موجه لـ (أيوراسيا) .. الآن صارت اللافتات كلها خطأ ! لقد تم وضع الوجوه الخطأ على اللافتات .. هذا تخريب متعمد ! إن عملاء (جولدشتاين) هم السبب ! وسرعان ما تمزقت اللافتات وعادت الخطبة .. لكن الهدف قد تغير هذه المرة .. وما أثار دهشة (ونستون) هو أن المتحدث غير العدو فى منتصف الجملة .. لم يتوقف لحظة أو يعطى تفسيرًا ما ..

(أوشيانيا) فى حرب مع (إيستاسيا) (أوشيانيا) كانت دومًا فى حرب مع (إيستاسيا) .. والآن صار جزء كبير من الكتابات السياسية فى الخمس سنوات الماضية بلا جدوى .

لقد صار العمل مرهقًا فى الوزارة لأنه من المفترض أن يختفى كل حرف كتب عن الحرب مع (أيوراسيا) .. إنهم يعملون الآن ١٨ ساعة يوميًا ، والطعام يقدم لهم فى شطائر فى مكان العمل ، مع قهوة توزع على عربات (ترولى) صغيرة .. وراح (ونستون) يعمل كالمحموم .. ومن حين لآخر يجد كومة هائلة من الأوراق على مكتبه فيعمل بحماسة

كى يجعل مكتبه قابلاً للاستخدام من جديد .. والأسوأ هو أن أحدًا لم يجرؤ على تسمية العملية باسمها الحقيقى ..

بعد إنهاء العمل صار من المستحيل على أى بشرى أن يبرهن على أن الحرب ضد (أيوراسيا) وقعت فعلاً .. ومنح الرجال إجازة حتى صباح الغد ..

هكذا عاد لداره فاستحم ثم اتجه إلى الغرفة فوق متجر مستر (تشارنجتون) وحقيبته معه . فتحها وأخرج الكتاب ..

كان مجلدًا أسود ثقيلاً مجلدًا تجليد هواة بلا عنوان على الغلاف .. الصفحات مهترئة من الجوانب ، وتساقطت بسهولة .. أما العنوان على الصفحة الأولى فيقول :



نظرية وممارسة الحكم الشمولى بوساطة الأقليات

بقلم إيمانويل جولدشتاين

الفصل الأول

الجهل هو القوة

ـ « منذ بداية التاريخ ، وربما منذ العصر الحجرى الحديث ، انقسم الناس فى العالم إلى ثلاث طبقات : عليا ووسطى ومتدنية . لقد قسموا تقسيمات أخرى كثيرة لكن التركيب الأساسى للمجتمع لم يتبدل قط . حتى بعد الثورات الهائلة والتغيرات الجذرية ظاهريًا ، فقد ظل نفس التركيب يفرض نفسه . كما أن (الجيرو سكوب) مهما تحرك يعود دومًا ليأخذ وضع التوازن . »

وتوقف (ونستون) فقط ليستوعب حقيقة أنه يقرأ وحده .. بلا تليسكرين ولا من يتنصت عليه من ثقب الباب . هواء الصيف يداعب خديه .. من بعيد يسمع صياح الأطفال فى لعبهم . إنها نعمة .. إنه الخلود ..

وكشخص يعرف أنه سيقرأ الكتاب مرة ومرة ، فتحه فى موضع مختلف .. وجد نفسه عند الفصل الثالث وبدأ يقرأ :

الفصل الثانى

الحرب هى السلام

كان انقسام العالم إلى ثلاث دول عظمى ، أمرًا يمكن التنبؤ به منذ منتصف القرن العشرين . خاصة مع امتصاص روسيا لأوروبا ، وامتصاص الولايات المتحدة لبريطانيا .. هكذا ولدت قوة (إيورسيا) و(أوشيانيا) .. وسرعان ما ولدت (إيستاسيا) .. والحدود بين القوى الثلاث اعتباطية ، وتتأرجح حسب ظروف الحروب . وهذه القوى فى حرب دائمة منذ خمس وعشرين سنة .. وإن كانت تمارس فيها فظائع لا تختلف عن الحروب القديمة ، لكن ينظر لهذه الأشياء على أنها طبيعية حين تصدر عن جانبك ، بينما هى فظائع حين يمارسها الجانب الآخر . والحرب فى المجتمع المعاصر لا تعنى أكثر من نقص دائم فى السلع الاستهلاكية ، أو سقوط قنبلة صاروخية تسبب بعض الوفيات . إن الحروب المعاصرة لا تحسم شيئًا .. فلا يمكن قهر أى من القوى العظمى الثلاث حتى لو اجتمعت القوتان الأخريان عليها . (أيوراسيا) تحميها مساحاتها الشاسعة ، و(أوشيانيا) يحميها المحيطان الأطلنطى والهادى ، و(إيستاسيا) يحميها ازدهارها الصناعى . ثم إنه لا شىء يمكن أن تقاتل من

أجلـه .. إن نظم الاقتصاد الجديدة التى تجعـل الاسـتهلاك والإنتاج يحركان بعضهما ، قد ألغت غليان الأسـواق الـذى كان السبب الرئيسى لانتهاء الحروب السابقة . وكـل واحـدة من القوى العظمى تملـك مـن المـوارد مـا يغنيهـا عن طلـب موارد خارج حدودها .. لقد صار هدف الحروب الحالى هو الوصول إلى وضع أفضل يتيح لك بدء حرب أخرى .

عامة العالم أكثر بدائية اليوم مما كان قبل عام ١٩١٩ .. لقد تطورت بعض الأجهـزة الخاصـة بـالحرب والشـرطة والتجسس .. لكن البحث العلمى قد توقف تقريبًا .

كان من الواضح أن ازدياد الثروة هو الدمـار ذاتـه بالنسبة لمجتمع طبقى Hierarchical Society .. ففى مجتمع يعمل فيـه كل فرد عددًا محدودًا من الساعات ، ويملك فيه كل فرد بيتًـا بحمـام وثلاجـة وسيارة .. يخلـق هـذا مجتمعًا تتـوزع فيــه الـثروة بعدل .. لكن القوة يجب أن تظل فـى أيدى نخبــة محدودة مميزة مـن الأفـراد . لكن عند التطبيـق لا يمكـن أن يبقى هـذا المجتمـع مستقرًا .. لأن الغالبيـة الفقيـرة سـتتعلم كيف تعبر عن نفسها .. هكذا نجد أن المجتمع الطبقى ممكن فقط على أساس الجهل والفقر . لقد تمت تجربـة هذا الحـل فى القـرن العشرين فى الأعوام ١٩٢٠ ـ ١٩٤٠ .. تم وقف

النمو الاقتصادى .. تركت الأراضى غير مزروعة .. حرم كثيرون من العمل . والهدف تقليل الوضع الاقتصادى للأكثرية ، لكن هذا بدوره أضعف القوى المسلحة ، ولاقى اعتراضات كثيرة . كانت المشكلة هى كيف تبقى عجلة الصناعة دائرة دون أن تزيد من ثروة الناس . يجب إنتاج البضائع بكثرة ، لكن يجب عدم توزيعها . لا يوجد حل عملى لهذا سوى الدخول فى حروب مستمرة .

إن الحرب لاتعنى بالضرورة خسارة الأرواح .. إن الغرض الأهم للحرب هو تدمير أو حرق أو تفتيت مواد يمكن فى ظروف أخرى أن تزيد من رفاهية الفرد . عجلة الصناعة الحربية تدور لكنها لا تفيد أحدًا .. بل من المفيد كذلك أن تبقى حتى النخبة المميزة فى وضع أقرب إلى العوز .. وبمقاييس بدايات القرن العشرين فإنه حتى دوائر الحزب الداخلية تعيش حياة شاقة .

الحرب تحقق التدمير المطلوب .. لكنها تحققه بشكل فلسفى مقبول .. من الممكن أن تحقق الغرض ذاته لو حفرت حفرًا ثم ردمتها ، أو أنتجت بضائع وأحرقتها .. لكن هذا يحقق فقط الجانب الاقتصادى من المعادلة ولا يحقق الأساس المعنوى للمجتمع الطبقى ..

وبالنسبة لدوائر الحزب الداخلية ، فإن أفرادها قد يعرفون أن الحرب ظالمة ، وقد يعرفون أنها خدعة . لكنهم فى الآن نفسه يؤمنون بأنها مهمة ، وأن (أوشيانيا) ستنتصر فيها يومًا .. هذه هى مزايا (التفكير المزدوج) . يعتقدون أن الحرب ستحسم لصالح (أوشيانيا) يومًا عن طريق إنجاز غير متوقع أو اكتشاف سلاح جديد .

لهذا يظل البحث عن سلاح جديد هو نوع التفكير الابتكارى الخلاق الوحيد المسموح به .. وفى (اللغة الجديدة) لا توجد كلمة مثل (علم) .. إن العالم يتراجع فى كل ما هو مفيد خاصة الفنون .. إن الأرض تحرث بالمحاريث التى تجرها الخيول بينما الكتب تكتبها الآلات .. إن الحزب لا يريد إلا شيئين : أن يكتسح الأرض كلها ، وأن يلغى أية احتمالية للتفكير المستقل ، لهذا أمام الحزب مشكلتان : معرفة ما يفكر فيه الناس ، والقدرة على قتل مئات الملايين فى ثوان دون إعطاء إنذار .

إن عالم اليوم هو مزيج من عالم نفسى ومحقق .. يدرس بدقة معنى تعبيرات الوجوه وطبقات الصوت والإشارات وأثر عقاقير الحقيقة والتعذيب . أو هو كيميائى أو فيزيائى لا يهتم إلا بطريقة سلب حياة الآخرين . إنهم فى أحراش

البرازيل وأماكن نائية أخرى يبحثون فى القنابل النووية والأسلحة البيولوجية ، واحتمالات أبعد مثل صنع عدسات تركز أشعة الشمس على بعد آلاف الكيلو مترات فى الفضاء الخارجى ، أو اختلاق موجات تصادم فى باطن الأرض تولد الزلازل .. إن القوى العظمى كلها تملك القنابل الذرية وقد ألقيت الكثير منها ، لكن ثمة اتفاق على عدم استخدامها لأن هذا معناه نهاية المجتمع الذى نعرفه ، وتظل الحروب تتم بشكل تقليدى . وبرغم ما يقال فإن الحرب لم تبلغ قط مكانة الحروب القديمة حين كان الملايين يبادون . إن القوى الثلاث تعمل على استراتيجية واحدة تجمع بين القتال والمساومة والخيانة فى الوقت المناسب ، للحصول على قواعد تحاصر مدينة أو أخرى من مدن الخصوم . ثم توقع اتفاقية صداقة مع هذا الخصم وتترك الأعوام تمر حتى تنام الشكوك . ثم تطلق كل قنابلها الصاروخية على هذا الخصم مرة واحدة ..

هذه الخطة بالطبع أحلام يقظة .. فلم يتم غزو أية أرض للعدو من قبل .

هنا تبرز حقيقة أخرى لم تقل علانية لكنها مفهومة ، هى أن الحياة فى الدول الثلاث المتناحرة متماثلة تمامًا .. فى (أوشيانيا) الفلسفة المسيطرة تدعى (إنجسوك Ingsoc) ..

فى أيوراسيا تدعى (البلشفية الجديدة) .. وفى (إيستاسيا) تحمل اسمًا صينيًا معناه (عبادة الموت) .. وكل مواطن فى (أوشيانيا) لا يعرف حرفًا عن فلسفات الدول الأخرى ، لكنه يتعلم أن يزدريها باعتبارها أفكارًا بربرية .

لقد تغير مفهوم الحرب عن الماضى .. إن الحروب فى الماضى كانت تنتهى دائمًا ، وكانت تقود الشعوب إلى الحقيقة .. فمهما قال الحاكم إن (٢ + ٢ = ٥) فإنك لا تستطيع تصميم طائرة أو بندقية ما لم تكن (٢ + ٢ = ٤) .. وكنت تحتاج إلى معرفة التاريخ أكثر وفهم كيف وصلت الأمور إلى هذا الوضع .. لكن منذ صارت الحرب مستمرة كفت عن أن تكون خطرة .. لا داعى لمعرفة الحقائق ، ولا داعى للكفاءة حتى العسكرية منها . إن الحرب إذن مجرد ادعاء .. كقتال بين حيوانات مجترة قرونها فى وضع لا يسمح لها بأن تتصادم أو تحدث ضررًا . لكن برغم أنها غير حقيقية فهى ذات معنى .. إنها تلتهم السلع وتنمى المناخ العقلى الذى يتطلبه المجتمع الطبقى .. هكذا كفت الحرب عن أن تحتفظ بمغناها القديم ، وهذا هو ما يعنيه الحزب بمقولته : الحرب هى السلام ..

وتوقف (ونستون) عن القراءة إذ سمع انفجار قنبلة صاروخية من بعيد .. لقد فتنه الكتاب برغم أنه لم يقل له شيئًا لم يكن يعرفه من قبل .. لكن هذا سره .. على الأقل هو قد كتب ما كان سيكتبه لو أنه استطاع أن ينظم الأفكار المحتشدة فى ذهنه على شكل كلمات .. إن أفضل الكتب ـ كما فهم الأمر ـ هى التى تخبرك بأشياء تعرفها .. فقط هى تخرج من عقول أكثر ترتيبًا وطلاقة فى التعبير .

هنا سمع صوت خطوات (جوليا) قادمة ولم يكن قد قابلها منذ أسبوع .. قال لها :

ـ « لقد حصلت على الكتاب ؟ »

ـ « حقًا ؟ »

قالتها دون اهتمام ..

فتح الفصل الأول وراح يواصل ما كان قد بدأه من قبل ، ولكن بصوت مسموع هذه المرة :

« هناك ثلاث طرق يمكن بها لطبقة حاكمة أن تسقط .. إما أن تسقط من الخارج ، أو تحكم حكمًا ظالمًا يجعل المجاميع تثور عليها ، فتسمح لطبقة وسطى قوية أن تصل للحكم ، أو هى تسقط لأنها فقدت الثقة بنفسها ولم تعد ترغب فى الحكم . هذه العوامل لاتعمل منفصلة ، والطبقة الحاكمة التى تسيطر عليها جميعًا تبقى فى الحكم للأبد ..

الخطر الأول لا وجود له لأن القوى الثلاث متساوية .. الخطر الثانى نظرى ، لأن المجاميع لا تثور من تلقاء نفسها مهما كانت مكبوتة .. لو لم تعطهم ما يقارنون به مستويات حياتهم فإنهم لن يعرفوا أبدًا أنهم مقموعون . هكذا يظل الخطر الأساسى هو ظهور طبقة وسطى متعطشة إلى السلطة .. بالتالى نستطيع فهم تركيب (أوشيانيا) الاجتماعى . على قمة الهرم يوجد (الأخ الأكبر) الذى لايخطئ .. كل نجاح .. كل نصر علمى .. كل اكتشاف هو بفضله .. لم يره أحد قط .. إنه وجه لا أكثر .. إنه القناع الذى يبدو به الحزب بالنسبة للجماهير ؛ لهذا لا يمكن أن يموت ..

تحت الأخ الأكبر تجد دائرة الحزب الداخلية .. وتعداد أفرادها لا يتجاوز ٢ ٪ من تعداد (أوشيانيا) .. بعد هذا تأتى الدائرة الخارجية التى ـ لو شبهنا الدائرة الداخلية بالعقل ـ تمثل الأيدى .. ثم تأتى المجاميع الضخمة مما نصطلح على تسميته بـ (البروليتاريا) ..

إنهم يشكلون ٨٥ ٪ من التعداد ، وهم الطبقة الدنيا فى التركيب الاجتماعى ..

لكن مكانتك فى الحزب ليست وراثية .. وابن رجل الدائرة الداخلية قد يكون فى أى موضع من التركيب الاجتماعى .. هناك فى الدائرة الداخلية يهود وزنوج وهنود من أمريكا الجنوبية .. لاتوجد مركزية .. لا عاصمة .. لاشىء يربط أعضاء الحزب إلا العقيدة . يتعلم أعضاء الحزب أنهم مراقبون فى أية لحظة وأى مكان .. ويتعلمون أن ما يستحق العقاب ليس الجريمة بل التفكير فيها .. لاتوجد جرائم فى (أوشيانيا) وما تقوم به شرطة الأفكار هو معاقبة من يمكن أن يرتكبوا جرائم يومًا ما .. عليك أن تتحكم لا فى أفكارك بل فى غرائزك الفطرية أيضًا .. والأطفال يتلقون تعليمًا اسمه (وقف الجريمة) يجعلهم يكفون عن التفكير بمجرد أن تخطر لهم أفكار تسىء للحزب .. هذا نوع من الغباء الواقى .. لكن الغباء وحده لايكفى .. هناك كلمة اسمها (أسوبيض) .. وهو ككل كلمات اللغة الجديدة ذات معنيين .. مع المعارضين للحزب يكون معناها قدرتك على تحويل الأسود إلى أبيض لتزييف الحقائق .. ومع أعضاء الأحزاب معناها قبولك للاعتراف بأن الأسود أبيض ، وإنك لم تعتقد قط بالعكس .. هذا هو التفكير المزدوج كما تسميه اللغة الجديدة ، وكما كان يسمى فى السابق (التحكم فى الحقيقة) ..

أن تذكر أكاذيب عامدة وفى الآن ذاته تؤمن بها ..

فقط بالتفكير المزدوج استطاع الحزب أن يسيطر ، وبه سوف يسيطر آلاف السنين القادمة .

لم يكن قد عرف السر بعد .. لقد فهم (كيف) لكنه لم يفهم (لماذا) .. فقط نظمت له الكلمات ما كان يعرفه بالفعل . على الأقل فهم أنه ليس مخبولاً .. كونك الوحيد لايعنى أنك مخبول .

وسأل (جوليا) :

ـ « هل تذكرين الطائر الذى كان يغنى لنا يوم لقائنا الأول ؟ »

ـ « لم يكن يغنى لنا .. بل كان يغنى ليسعد نفسه .. ولاحتى هذا .. كان يغنى فحسب .. »

الطيور تغنى .. البروليتاريا تغنى .. الحزب لايغنى .. أنت الميت وهم الأحياء .. لكنك تستطيع أن تشارك البروليتاريا الغد لو أبقيت مخك حياً .. هم يبقون أجسادهم حية وأنت تبقى مخك ..

قال لها :

ـ « نحن الموتى .. »

ـ « أنتما الميتان !! »

كان هذا هو الصوت المعدنى الذى جاء من خلفهما ..

وثبا متباعدين .. وشعر (ونستون) بأن أحشاءه تحولت إلى جليد .. كان يرى البياض حول حدقتى عين (جوليا) وقد استحال وجهها أبيض ..

- « أنتما الميتان ! »

شهقت (جوليا) :

- « لقد جاء من وراء تلك الصورة .. »

وجاء الصوت المعدنى :

- « ابقيا حيث أنتما ولا تتحركا ما لم تؤمرا بذلك .. »

لقد بدأ .. لقد بدأ أخيرًا ! ليس بوسعهما عمل شىء إلا تبادل النظرات .. لم يجل بذهنيهما أن يفرا أو يغادرا المنزل قبل فوات الأوان .. دوى صوت كأنما قفل يزاح مع صوت زجاج يتهشم ، وسقطت الصورة التى على الجدار لتظهر خلفها (تليسكرين) .

- « قفا فى وسط الغرفة .. ظهرًا لظهر .. ضعا الأيدى فوق الرأس .. لا يلمسن أحدكما الآخر .. »

كان بوسعه أن يمنع أسنانه من الاصطكاك لكن ركبتيه كانتا تتصرفان وحدهما ..

جاء صوت أحذية ، وبدا كأنما الفناء امتلأ بالرجال .. هناك ما يجرونه فوق الصخر ..

قال (ونستون) :

ـ « البيت محاصر .. »

قال الصوت :

ـ « البيت محاصر .. »

قالت (جوليا) :

ـ « أعتقد أن علينا تبادل عبارات الوداع .. »

قال الصوت :

ـ « عليكما تبادل عبارات الوداع .. »

هنا جاء صوت شيء يتهشم خلف ظهر (ونستون) .. لقد أدخل طرف سلم من النافذة .. كان هناك من يتسلق داخلاً الغرفة ، ودوى صوت أحذية تصعد فى الدرج . امتلأت الغرفة برجال صلبى المراس فى ثياب سوداء وأحذية ذات نعال معدنية .. وهراوات فى أيديهم ..

وقرر (ونستون) ألا يتحرك فلا يعطيهم الفرصة ليبدءوا ضربه .. لكنه تلقى ركلة فى كاحله كادت تسقطه أرضًا .. أحد الرجال لكم (جوليا) فى فم معدتها فسقطت على الأرض تكافح طلبًا للهواء .. لم يجسر (ونستون) على النظر للوراء ، لكنه كان يرى بشكل ما وجهها الأحمر فى مجال نظره . وشعر بأنه يتألم مثلها تمامًا .. تفوق الألم الرغبة العاجلة فى التنفس من جديد ..

ثم إن رجلين حملاها من ركبتيها وكتفيها خارج الغرفة كأنها كيس .. رأى (ونستون) وجهها المقلوب وأحمر الخدين ما زال على وجنتيها .. وكانت هذه آخر مرة يراها فيها ..

وقف ينتظر .. فلم يضربه أحد بعد .. أفكار غريبة كانت تضطرب في ذهنه .. مثل ماذا حدث للمستر (تشارنجتون) ؟ إنه يريد التبول .. هذا غريب .. لقد فعلها مرة واحدة منذ ثلاث ساعات .

ثمة خطوة أخف على الدرج .. ودخل مستر (تشارنجتون) الغرفة ..

فجأة تغير سلوك الرجل .. لقد أشار إلى الأرض إلى قطع زجاج مهشمة وقال لأحد الرجال :

– « اجمع هذه الشظايا الآن . »

فانحنى رجل مطيعًا الأمر . لقد تلاشت لهجة الكوكنى Cockney العامية من كلام (تشارنجتون) .. هنا تذكر (ونستون) أنه سمع هذا الصوت بالذات منذ دقائق على التليسكرين . كان الرجل يلبس ثيابه ذاتها لكن شعره الأشيب صار أبيض . كما أنه لم يكن يلبس عويناته . لم يعد ذات الشخص .. لقد استقامت قامته فبدا أضخم .. حاجباه صارا أقل كثافة والتجاعيد تلاشت . حتى الأنف صار أقصر . صار وجهه وجه رجل يقظ فى الخامسة والثلاثين .

وللمرة الأولى أدرك (ونستون) أنه ينظر إلى واحد من (شرطة الأفكار) .

* * *

الفصل السادس عشر

لم يدر أين هو .. محتمل أنه فى وزارة الحب لكن لاسبيل للاستيثاق . كان فى زنزانة عالية السقف بلا نوافذ . مصابيح مخفية تغرقها فى ضوء بارد . وصوت همهمة يبدو أن لها علاقة بتهوية الهواء . هناك دكة يمكن الجلوس عليها ، تدور على محيط الغرفة ، وفى الركن مرحاض دون قاعدة خشبية ، وحوله أربع شاشات تليسكرين .

فى بطنه جوع أليم مؤذ ، فقد مرت عليه نحو أربع وعشرين ساعة دون لقمة واحدة ، وهو لا يعرف إن كان الوقت ليلاً أم نهاراً . جلس ساكناً وكان قد تعلم كيف يجيد ذلك ، لأنك لو تحركت لصرخوا فيك عبر التليسكرين . كان جائعاً بشدة ، وتذكر أن جيب الأوفرول الذى يلبسه ربما يحوى بعض قطع الخبز .. كان متأكداً من هذا ، لذا مد يده فى حذر إلى هناك .

صاح صوت من التليسكرين :

ـ « ٦٠٧٩ .. (سميث و .) ! .. أخرج يدك من جيبك فى الزنزانة ! »

عاد ليجلس ساكناً ..

قبل أن يحضروه هنا ، وضعوه فى مكان لا بد أنه سجن عادى .. كان فى زنزانة قذرة بها نحو خمسة عشر رجلاً ، لا بد أنهم من المجرمين العاديين ، لكن بعضهم كانوا مساجين سياسيين . وقد لاحظ الفارق الكبير بين سجناء الحزب والآخرين .. سجناء الحزب كانوا صموتين خائفين ، لكن المجرمين العاديين لم يعبئوا بأحد . كانوا يسبون الحراس ويقاتلون من أجل ممتلكاتهم ، ويكتبون بذاءات على الأرض ، ويأكلون طعاماً مهرباً أخفوه فى أماكن خفية من ثيابهم .

من ناحية أخرى كان بعضهم على علاقة طيبة بالحراس ، وينادونهم بأسماء تدليل ، ويعطونهم لفافات التبغ عبر فتحة الباب . إن هذه السجون تمنح أفضل وضع للمجرمين العاديين وخاصة رجال العصابات والقتلة . هؤلاء كانوا يشكلون الطبقة الأرستقراطية فى السجن . أما الأعمال القذرة فيقوم بها السجناء السياسيون .

وطيلة الوقت كان هناك طوفان لا ينتهى من المجرمين الجدد : مهربى مخدرات .. تجار سوق سوداء .. لصوص .. وكان هؤلاء جميعاً يتجاهلون السجناء السياسيين تماماً .. كانوا يطلقون عليهم (سياسة) فى نوع من الاحتقار اللا مبالى .

كان السياسيون يخشون الكلام مع أحد ، وخاصة بين بعضهم .. إلا أنه ذات مرة سمع امرأتين تجلسان متلاصقتين وتتكلمان عن شىء يدعى الغرفة (واحد .. صفر .. واحد) .. ولم يفهم معنى هذا ..

الآن هو هنا منذ ساعتين ، والجوع يشتد به .. فإذا ازداد جداً لم يعد يفكر إلا فى الطعام ، فإذا قل الألم راح يفكر فى الرعب . كان يرى بوضوح تام ما سيحدث له .. يشعر بالأحذية ذات الكعوب الحديدية تهشم وجهه .. وهو يزحف على الأرض طالباً الرحمة .

لم يفكر قط فى (جوليا) .. كان يفكر فى (أوبرايان) .. إن الأخوة لا تحاول أبداً إنقاذ رجالها ، لكن هناك الأمل فى أن يرسلوا له موسى .. سيتم الأمر خلال خمس ثوان قبل قدوم الحارس . لكنه كان يعرف .أنه لن يستعملها لو أتيحت له .. الطبيعى أكثر أن تعيش حياتك عشر دقائق بعشر .. حتى لو كان التعذيب هو النهاية المحتومة .

راح يتساءل عن الوقت الآن .. فى دقيقة معينة يعتقد أن الشمس ساطعة بالخارج ، وفى دقيقة أخرى يشعر بأن الظلام دامس . هذا هو المكان الذى لا تطفأ فيه الأضواء .. « المكان الذى لا ظلام فيه » كما قال (أوبرايان) ..

فى وزارة الحب لا توجد نوافذ .. قد تكون زنزانته مركز المبنى وقد تكون على أطرافها .. قد تكون على عمق ثلاثين طابقاً تحت الأرض أو ثلاثين فوقها .

سمع صوت حذاء ثقيل يمشى بالخارج . انفتح الباب المعدنى محدثاً صوتاً (كلانج) . وظهر ضابط شاب فى ملابس غير رسمية ، بدا كأنه يتألق بالكامل من كثرة الجلد اللامع الذى يرتديه . ووجهه عديم التعبير يبدو كقناع شمعى ..

دخل من الباب وأشار للحراس كى يجلبوا السجين الذى معهم ..

فمشى الشاعر (امبلفورث) إلى داخل الزنزانة متثاقلاً .. وانغلق الباب ..

راح الشاعر يذرع الزنزانة جيئة وذهاباً ولم يلحظ (ونستون) بعد .. كانت عيناه ترمقان السقف على ارتفاع متر من رأس (ونستون) .. أصابع قدميه القذرة الضخمة تطل من فتحات جوربيه .. كما أنه لم يحلق ذقنه منذ أيام عدة ..

قرر (ونستون) أن يجازف ويكلم (أمبلفورث) .. ربما يكون هو الرجل الذى يحمل له الموسى .. سيجازف برغم ما ستحتج به التليسكرين .. قال له :

ـ « (أمبلفورث) .. »

نظر له الرجل هنيهة ، ثم قال :

ـ « آه .. (سميث) . أنت أيضًا ؟ »

ـ « لِمَ أنت هنا ؟ »

جلس على الدكة مرتبكًا وقال :

ـ « للحقيقة .. ليست هناك سوى تهمة واحدة .. أليس كذلك ؟ »

ـ « وأنت ارتكبتها ؟ »

ـ « يبدو ذلك ؟ »

وضغط بكفيه على صدغيه كلما يحاول تذكر شيء ما وأردف :

ـ « هذه الأمور تحدث .. أتذكر حادثة واحدة ، حادثة محتملة .. كنا نغير قصائد (كبلينج Kipling) .. فتركت لفظة God فى نهاية بيت شعر .. كانت قافية الأبيات هى Rod فلم أستطع التغيير .. هل تعرف أنه ليس هناك إلا اثنتا عشرة كلمة بهذه القافية فى الإنجليزية كلها ؟ هل تتصور أن تاريخ الشعر الإنجليزى حدده افتقار اللغة الإنجليزية للقوافى ؟ »

لم يعرف (ونستون) هذه المعلومة .. ولم تبد له مهمة .. لذا سأل الرجل :

- « هل تعرف كم الساعة الآن ؟ »

بدت الدهشة على (أمبلفورث) ، وقال :

- « لم أفكر فى هذا .. لقد قبضوا على .. ربما منذ يومين أو ثلاثة .. لا أرى فارقًا بين النهار والمساء فى هذا المكان .. لا أعرف كيف يمكنك معرفة الوقت ؟ »

هنا دوت صرخةً من التليسكرين تطلب منهما الصمت ..

عادا يجلسان .. وكان حجم الشاعر الكبير مما يعوقه عن الجلوس على الدكة مستريحًا ، ومن الخارج جاء صوت قدمين تذرعان الممر .. فتقلصت أحشاء (ونستون) .. حالاً تتوقف الخطوات ومعنى هذا أن يأتى دوره ..

دخل الضابط الشاب ، وبإشارة من يده إلى (أمبلفورث) قال :

- « غرفة ١٠١ .. »

نهض الشاعر ليمشى فى خرق بين الحراس .. بوجه مشوش حائر ..

مر ما بدا له كدهر .. وازداد الألم فى معدة (ونستون) .. كانت تتنازعه خواطر ست .. ألم معدته .. قطعة خبز .. الدم والصراخ .. (أوبرايان) .. (جوليا) ، حد الموسى .

تفتح الباب من جديد فدخل هواء يحمل رائحة العرق البارد .. كان القادم هو (بارسونز) جاره يلبس ثيابًا خاكية وسروالاً قصيرًا ، أصاب الذهول (ونستون) لدرجة أنه نسى نفسه :

ـ « أنت هنا ؟ »

نظر له (بارسونز) نظرة خالية من الدهشة أو الذهول .. فقط التعاسة .. بدأ يجوب المكان عاجزًا عن البقاء ساكنًا كما هو واضح . فى عينيه نظرة محملقة كأنما لا يستطيع كف نفسه عن النظر إلى شىء على مسافة قصية .

قال (ونستون) :

ـ « ماذا تفعل هنا ؟ »

ـ « جريمة تفكير ! »

قالها (بارسونز) وفى صوته قبول تام لجرمه .. ورعب مضحك من أن كلمة كهذه تنطبق عليه ، وبدأ يلح على (ونستون) :

ـ « أنت لا تعتقد أنهم سيطلقون الرصاص على يا فتى ؟ لن يقتلوك وأنت تقترف شيئًا .. مجرد أفكار ؟ أعرف أنهم يصغون لك جيدًا .. أنا أثق بهم فى هذا .. ستعرفون تاريخى .. لم أكن

شابًا سيئًا على طريقتى .. لست ذكيًا لكنى مخلص .. فعلت ما بوسعى من أجل الحزب .. سأخرج من السجن بعد خمسة أعوام .. شاب مثلى سيكون مفيدًا فى معسكر العمل .. لن يقتلونى لخروجى مرة عن النهج .. »

سأله (ونستون) :

ـ « هل أنت مذنب فعلاً ؟ »

ـ « بالطبع مذنب ! لا تحسب أن الحزب يمكن أن يعتقل رجلاً بريئًا . إن جريمة التفكير خطرة يا رجل .. يمكنها أن تستولى عليك وأنت لا تعرف .. هل تعرف كيف أصابتنى ؟ وأنا نائم ! كنت أعمل ولم أكن أعرف بالأشياء السيئة فى ذهنى طيلة الوقت .. هكذا بدأتِ أتكلم فى أثناء النوم .. هل تعرف ما كنت أقول ؟ »

وانخفض صوته كأنما هو شخص مضطر للاعتراف بأمر مشين للطبيب :

ـ « ليسقط الأخ الأكبر .. نعم قلتها مرارًا .. تصور هذا ! وبينى وبينك أنا سعيد لأنهم قبضوا علىّ قبل أن تسوء الأمور .. هل تعرف ما سأقول لهم ؟ سأقول : أشكركم على إنقاذى قبل فوات الأوان .. »

ـ « ومن كشف أمرك ؟ »

ـ « ابنتى الصغرى .. » ـ قالها بنوع من الفخر الحزين ـ « كانت تتنصت علىّ من ثقبَ الباب .. وأبلغت الشرطةَ فى اليوم التالى .. ذكاء جمّ من ابنةَ السابعة ، وأنا لا أحقد عليها .. هذا يعنى أنها ربيت جيدًا .. »

وراح ينظر إلى المرحاض ، ثم إنه فتح سرواله :

ـ « سامحنى يا زميل .. فقط لا أستطيع الانتظار .. »

وجلس على المرحاض بينما غطى (ونستون) وجهه ، بينما استعمل هذا الأول المرحاض بوفرة وتحرر تامين .. واتضح بعد هذا أن السيفون لا يعمل .. هكذا ظلت رائحة الزنزانة لا تطاق لساعات طوال .

تم إخلاء (بارسونز) فيما بعد .. جاء مساجين كثيرون .. ورحلوا .

الآن صار معه ستة أشخاص رجالاً ونساء .. أمامه جلس رجل بلا ذقن كأحد القوارض ، وقد راحت عيناه تفحصان الموجودين ذات اليمين واليسار ، ثم تتواريان إذا قابلتا عينًا أخرى .

دخل رجل آخر أثار مرآه الرعب لدى (ونستون)، فوجهه هزيل كالجمجمة .. وهكذا بدت العينان والفم كبيرتى الحجم فيهما مقت قاتل لشخص ما أو شىء ما .. جلس الرجل على الدكة فلم ينظر إليه (ونستون) ثانية، لكن وجه الرجل ظل ماثلاً أمامه طيلة الوقت. وهنا أدرك الحقيقة التى فهمها كل واحد فى الزنزانة: إن الرجل يموت من الجوع، نهض الرجل الذى لاذقن له، واتجه إلى ركن الزنزانة وراح يعبث فى جيبه، ثم أخرج قطعة من الخبز وقدمها للرجل ذى وجه الجمجمة.

جاء صوت يصم الآذان من التليسكرين، وسرعان ما تراجع الرجل، ووضع الرجل ذو رأس الجمجمة يديه وراء ظهره، كأنما يظهر بوضوح أنه رفض الهدية.

- «(بومشتيد)!! رقم 13/27! ألق بقطعة الخبز هذه!!»

ألقى الرجل الذى لاذقن له بالخبز على الأرض انفتح الباب ودخل الضابط الشاب، وخلفه ظهر حارس قصير القامة له ذراعان وكتفان هائلان .. وقف أمام الرجل عديم الذقن، ثم بإشارة من الضابط وجه لكمة شنيعة للرجل فى فمه، طار الرجل ليستقر فوق المرحاض والدم ينزف من فمه، نهض

متحاملاً على نفسه فسقطت أسنانه، وجلس وسط الرجال الآخرين وقد بدا عليه الذنب أكثر مما كان .. وراح يحيل عينيه من حوله كلما يرى إلى أى مدى لحتقره الناس بعد هذا الضرب المهين .

انفتح الباب وقال الحارس للرجل ذى وجه الجمجمة :

ـ « غرفة 101 .. »

تعالت شهقات ، وكان الرجل بالفعل قد نهض وهتف :

ـ « أيها الرفيق ! أيها الضابط ! لا يجب عليك أن تأخذنى هناك .. ألم أقل كل شيء بعد ؟ ماذا تريدون معرفته غير هذا ؟ قولوا لى ما تريدون أن أعترف به وسأعترف .. سأوقع على ما تريدون ! لكن ليست غرفة 101 ! »

ـ « غرفة 101 .. »

استحال وجه الرجل لونًا لم يحسبه (ونستون) ممكنًا من قبل .. إنه الأخضر بالفعل ..

ـ « ليس هناك من شيء لن أفعله .. سأسلم لكم أى شخص تريدون .. إن لدى زوجتى وثلاث بنات أكبرهن فى السادسة من العمر .. خذوهن واقتلوهن أمامى لو أردتم .. لكن ليس الغرفة 101 !! »

ثم نظر حوله وأشار إلى الرجل الذى لا ذقن له وصاح :

ـ « هذا هو من تريدون ! إنه عدو الحزب الحقيقى .. أنتم لم تسمعوا ما قال حين هشمتم وجهه .. لقد تعطلت التليسكرين وقتها ، لكنه شتم الحزب ! »

كف الحارسان عن الإمساك به فجرى عبر الغرفة ليمسك بإحدى القوائم المعدنية للدكة ، تشبث بها وراح يعوى كحيوان ، جره الحراس ، لكنه تشبث بقوة مخيفة ، ولمدة عشرين ثانية ظلاّ يجذبانه ..

فجأة توقف العواء ، إذ لم يعد لدى الرجل من النفس ما يكفى إلا للتشبث .. هنا هشم حذاء الحارس أصابعه وجروه ليقف على قدميه .

ـ « غرفة 101 .. »

وتم إخراج الرجل وهو يمشى دون اتزان وقد غاص رأسه .. وخرج كل القتال معه .

ومر وقت طويل .. لو كانوا أخذوا الرجل ذا رأس الجمجمة فى منتصف الليل فهذا هو الصباح .. ولو كان الوقت صباحًا فهذا هو العصر وكانت قطعة الخبز على الأرض حيث هى وقد احتاج لقوة إرادة كى لا ينظر لها ، لكن الآن تغلب الظمأ على الجوع ، إن فمه جاف كريه الرائحة ..

راح ينهض ويجلس لأن ألم الجلوس الطويل كان لايطاق .. وراح يفكر فى (أوبرايان) حالمًا بالموسى الحادة .. وأحيانًا كان يفكر فى (جوليا) .. هى فى مكان ما تعانى ربما أكثر منه .. ربما تصرخ ألمًا الآن .

وقال لنفسه : لو استطعت أن أنقذها بأن يضاعفوا تعذيبى ، فهل أقبل ؟ نعم أقبل .

كانت الأحذية تقترب الآن .. انفتح الباب ودخل (أوبرايان) ..

نظر (ونستون) إلى قدميه .. إن صدمة المفاجأة أذهبت عنه كل حذر .. ولأول مرة منذ أعوام نسى التيلسكرين .

ـ « هل ظفروا بك أيضًا ؟ »

قال (أوبرايان) فى تهكم شبه نادم :

ـ « لقد ظفروا بى منذ زمن بعيد .. »

ومن خلفه ظهر حارس عريض الصدر يحمل هراوة سوداء طويلة فى يده .

ـ « أنت تعرف يا (ونستون) فلاتخدع نفسك .. من زمن بعيد أنت تعرف .. »

نعم .. لقد رأى ذلك .. كان يعرف من البداية .. لكنه لم يكن يملك وقتًا للتفكير .. كل ما كان يفكر فيه هو الهراوة فى يد الحارس ، والتى قد تهوى فى أى مكان .. على حلمة أذنه .. أعلى ذراعه .. كوعه ..

كوعه ! وهوى على الأرض وقد شله الألم ، يمسك بكوعه المضروب ..

كل شىء صار لونه أصفر ساطعًا .. من غير المفهوم أن ضربة واحدة تحدث كل هذا الألم ! راح الضوء الساطع فاستطاع أن يرى الاثنين .. من المستحيل أبدًا أن تتحمل زيادة الألم .. شىء واحد فقط تتمناه مع الألم . أن يتوقف .. فى وجه الألم لا يوجد أبطال .. لا أبطال .. لا أبطال ..

فكر فى هذا وهو يتلوى على الأرض ممسكًا بذراعه اليسرى التى صارت عديمة النفع ..

* * *

الفصل السابع عشر

كان يرقد على شىء كأنه فراش معسكر .. فيما عدا أنه كان عاليًا عن الأرض ومثبتًا لها بحيث لا يمكن تحريكه ..

كان ضوء أقوى من المعتاد يهبط على وجهه .. وكان (أوبرايان) يقف إلى جانبه ينظر له باهتمام .. وفي الناحية الأخرى كان رجل يلبس معطفًا أبيض ويحمل محقنًا للحقن تحت الجلد ..

كم من الوقت بقى هنا ؟ لا يعرف .. منذ قبضوا عليه لم ير ضوء النهار ولا الظلام ..

منذ تلقى أول ضربة على كوعه بدأ الكابوس .. فيما بعد فهم أن هذا لم يكن إلا استجوابًا مبدئيًا وروتينيًا يتعرض له كل سجين .. وكان الاعتراف فى النهاية شكليًا ، لكن التعذيب كان حقيقيًا .. كم مرة ضرب فيها ، وكم من الوقت طال الضرب ؟ لا يستطيع أن يتذكر .. كان هنالك دومًا خمسة أو ستة رجال يضربونه .. بالقبضات أحيانًا .. بالهراوات أحيانًا .. بالعصى أو بالأحذية .

أحيانًا كان الضرب يستمر حتى يشعر بأن الشىء القاسى المريع ليس الحراس ، ولكنه عجز عن أن يفقد وعيه .. أحيانًا كانت أعصابه تخونه فيصرخ قبل الضرب طالبًا الرحمة .. أحيانًا يعترف بلا تحفظ بأى شىء ، وأحيانًا يقول لنفسه :

سأصمت حتى يصير الألم لا يطـاق .. ربما بعد ركلتين وضربة بالهراوة أتكلم .. لكن ليس الآن ..

كانت هناك فترات للإفاقة لا يذكرها جيداً لأنها كانت تضيع بين النوم والغيبوبة . يذكر وجبـات من الحساء الساخن والخبز وربما القهوة .. يذكر رجالاً جـادين غير متعاطفين فى معاطف بيضاء يقيسون نبضه ويمررون أصابعهم على جسده للتـأكد من عدم وجود كسور ، ثم يحقنونه بمنوم ..

بدأت فترات الضرب تقل .. ولم يعد مستجوبوه رجالاً فـى ثياب سوداء ، لكنهم صاروا أعضاء فى الحزب .. رجـالاً قصـار القـامة سريعى الحركات لامعى العوينات . وكانوا لا يعذبونـه تعذيبًا عنيفًا فيما عدا شـد شعره أو صفعه أو منعه من التبول والهدف كان تحطيم قدرته على الجدل .. لكن التعذيب الحقيقى كان أسئلتهم السريعـة المتلاحقة التى يكررونها طيلة الوقـت ، لحصاره وإرباكه .. وفى كل مـرة يظهرون كذبـه ومناقضـة نفسه حتى لينفجر فى البكاء من فرط الإرهاق العصبى ..

لقد نجحت هذه الاستجوابات فى هزيمتـه كما لم تستطع الهراوات والأحذية ، وفى النهاية تحـول إلـى فم يتكلم ويد توقع .. كان يهمه أولاً أن يعرف مـا يريدون الاعتراف بـه قبل أن يعترف ..

اعترف باغتيال أعضاء مهمين فى الحزب ، واختلاس أموال عامة ، وتوزيع منشورات تحريضية ، وسرقة اسرار عسكرية .. اعترف بأنه منحرف ومعجب بالرأسمالية .. اعترف بأنه قتل زوجته برغم أنه وهم يعرفون أنها حية .. اعترف بأنه عضو فى تنظيم تحت الأرض يضم كل شخص حى يعرفه ..

طيلة الاستجواب ـ برغم أنه لم يره ـ كان يشعر بأن (أوبرايان) بقربه .. كان (أوبرايان) هو من يدير كل شىء .. هو الذى أطلق الحراس على (ونستون) وهو من منعهم من قتله .. هو من يسأل الأسئلة ويقترح الإجابات ..

كان هو المعذب والمحقق والمحامى .. كان هو صديقه .. ولا يعرف (ونستون) إن كان هذا بفعل المخدر أم انه فعلاً سمع (أوبرايان) يقول له :

ـ « لا تقلق يا (ونستون) .. أنت تحت حمايتى .. لسبعة أعوام اراقبك ، والآن جاء دورى لأنقذك .. سأجعلك كاملاً .. »

لا يعرف إن كان هو أم لا .. لكن الصوت صوته .. نفس الصوت الذى قال : « سوف نلتقى حيث لا يوجد ظلام » ..

كان يرقد مثبتًا بإحكام بينما (أوبرايان) ينظر له فى نوع من الأسى .. كان وجهه مليئًا بالتجاعيد ، وخطر له أن

الرجل أسن مما قدر من قبل .. لابد أنه فى الخمسين .. وكان يمسك فى يده بقرص لتشغيل الكهرباء ..

قال (أوبرايان) :

ـ « قلت لك إنه لو التقينا ثانية فلسوف يكون ذلك هنا .. »

ـ « نعم .. »

وبدون إنذار وبمجرد حركة بسيطة من يد(أوبرايان) ، سرت موجةَ ألم فى جسده .. كان ألمًا مفزعًا لأنه لم يفهم ما هنالك ..لم يعرف إن كان هذا حقيقيًا أم أن الكهرباء جعلته يشعر بذلك .. لكن جسده كان يتشوه .. مفاصله تتمزق ببطء ..

برغم أن الألم كان عاتيًا ، فإن الأسوأ هو شعوره بأن عموده الفقرى سينكسر .. ضغط على أسنانه محاولاً أن يصمت ..

قال (أوبرايان) :

ـ « أنت خائف من حركة أخرى قد تحطم شيئًا .. لديك صورةَ حية تمثل عمودًا فقريًا مهشمًا والسائل ينز منه .. أليس كذلك يا (ونستون) ؟ »

لم يجب (ونستون) .. هنا حرك (أوبرايان) القرص فزالت موجة الألم كما بدأت ..

ـ « كان هذا أربعين .. يمكنك أن ترى أن الأرقام تتدرج حتى مائة .. هل لك أن تتذكر أننى أستطيع فى أية لحظة أن أؤلمك ولأية درجة أريد ؟ لو قلت لى أكاذيب أو أبديت ذكاء أقل فلسوف تصرخ ألمًا .. هل تفهم هذا ؟ »

ـ « نعم .. »

كان (أوبرايان) يتكلم بأسلوب يجمع بين أسلوب المعلم والطبيب وحتى الكاهن .. كأنه يرغب فى الشرح أكثر مما يرغب فى العقاب ..

ـ « أنا أتعب نفسى معك يا (أوبرايان) لكنك تستحق .. مشكلتك أن ذاكرتك مختلة ، وأنك تتصور حدوث أمور لم تحدث قط .. لكن من حسن الحظ أنك قابل للشفاء .. أعرف حتى الآن .. أنك تتمسك بمرضك كأنه فضيلة .. دعنا نأخذ مثالاً .. مثلاً ما القوة التى تحاربها (أوشيانيا) الآن ؟ »

ـ « حين قبض على كانت (أوشيانيا) تحارب (إيستاسيا) »

ـ « نعم .. جميل .. و(أوشيانيا) تحارب (إيستاسيا) دومًا .. أليس كذلك ؟ »

فتح (ونستون) فاه ليتكلم ثم آثر الصمت .. وأبقى عينيه على القرص ..

ـ « أذكر أنه قبل القبض على بأسبوع كانت الحرب مع (أيوراسيا) .. وقد استمرت أربع سنوات .. »

فأوقفه (أوبرايان) بيده وقال :

ـ « مثال آخر .. منذ أعوام كنت تخرف .. اعتقدت أن ثلاثة اعضاء من الحزب هم (جونز) و(آرونسون) و(رذرفورد) الذين أعدموا بسبب الخيانة والتخريب .. اعتقدت أنهم غير مذنبين لأنك رأيت وثيقة تؤكد بلا شك أن اعترافاتهم كانت مزيفة .. ثمة صورة كنت تهلوس بسببها .. كانت صورة مثل هذه .. »

وظهر مستطيل مقطوع من صحيفة بين يدى (أوبرايان) .. كانت صورة فوتوغرافية بلا شك .. صورة فوتوغرافية كالتى وضع يده عليها ثم دمرها .. للحظة كانت أمام عينيه ثم توارت .. لكنه رآها ! رآها .. نسى كل شىء ولم يعد يفكر إلا فى انتزاع الصورة ..

ـ « إنها موجودة ! »

قال (أوبرايان) :

ـ « لا .. »

واتجه إلى ركن الغرفة ليلقيها فى فتحة مهملات ، فتلاشت فى وهج اللهب ..

- « إنها رماد .. ليست حتى رمادًا .. إنها غبار .. لم توجد قط .. »

- « لكنها موجودة فى ذاكرتنا .. أنت تتذكرها ! أنا أتذكرها ! »

هذا هو التفكير المزدوج .. لو كان لديه أمل فى أن (أوبرايان) يكذب لتحمل الأمر ، لكنه كان متأكدًا من أن (أوبرايان) نسى الصورة فعلاً .. بل ونسى دعوته لنسيانها .. بل ونسى النسيان ذاته ..

نظر له (أوبرايان) وقد بدا عليه سمت المدرس الذى يلاقى الأمرين مع تلميذ عنيد لكنه واعد ..

- « ثمة مقولة للحزب تتحدث عن الماضى .. قلها من فضلك .. »

- « من يتحكم فى الماضى يتحكم فى المستقبل ، ومن يتحكم فى الحاضر يتحكم فى الماضى .. »

كرر (أوبرايان) الكلمات :

- « من يتحكم فى الماضى يتحكم فى المستقبل .. هل هذا رأيك يا (ونستون) ؟ هل الماضى موجود فعلاً ؟ »

لم يكن (ونستون) يعرف أية إجابة يمكن أن تحميه من الألم (نعم) أم (لا) ؟ بل إنه هو نفسه لم يكن يعرف ماذا يعتقد ..

ابتسم (أوبرايان) وقال :

- « أنت لست خبيرًا فى الميتافيزيقا يا (ونستون) .. حتى هذه اللحظة لم تفهم ما المقصود بالوجود .. سأكون أكثر دقة .. هل الماضى موجود بشكل ثابت فى الفضاء ؟ هل هناك مكان أو عالم من الأشياء المادية ، حيث ما زال الماضى يحدث ؟ »

- « لا .. »

- « إذن أين يوجد الماضى ؟ »

- « فى السجلات .. إنه مكتوب .. »

- « فى السجلات و ؟ »

- « فى العقل .. فى ذاكرة البشر .. »

- « فى الذاكرة .. جيد جدًا .. نحن - الحزب - نتحكم فى كل السجلات وكل الذكريات .. إذن نحن نتحكم فى الماضى .. ألسنا كذلك ؟ »

صاح (ونستون) ناسيًا قرص التحكم :

- « لكن كيف تمنعون الناس من تذكر أشياء ؟ هذا غير إرادى .. إنه خارج نفسك .. كيف تسيطرون على الذاكرة ؟ أنتم لم تسيطروا على ذاكرتى أنا ! »

من جديد عادت الصرامة إلى (أوبرايان) ووضع يده على قرص التحكم .

ـ « على العكس .. أنت لم تتحكم فيه ، لهذا جئت هنا .. أنت هنا لأنك فشلت فى التواضع .. فى ضبط النفس .. لم تقدم الخضوع الذى هو ثمن العقل .. فضلت أن تكون مخبولاً .. فقط العقل الملتزم يرى الحقيقة .. أنت تعتقد أن الحقيقة شىء موضوعى خارجى ذاتى الوجود .. وتعتقد أن الدليل على الحقيقة يشرح نفسه بنفسه .. وحين تضلل نفسك حاسبًا أنك ترى شيئًا ما فإنك تفترض أن الجميع يراه مثلك .. لكن دعنى أخبرك أن الحقيقة ليست من الخارج ، بل هى موجودة فى عقل كل إنسان .. موجودة فقط فى عقل الحزب الذى هو جمعى وخالد .. ما يعتقد الحزب أنه حقيقى هو حقيقى .. مستحيل أن ترى الحقيقة إلا إذا نظرت من خلال عينى الحزب .. عليك أن تتواضع بنفسك قبل أن تتمتع بالعقل .. »

وصمت للحظات كأنما يترك لكلماته أن تحدث تأثيرها ..

ـ « هل تذكر ما كتبت فى مذكراتك ؟ الحرية هى حرية أن تعلن اثنين واثنين يساويان أربعًا ؟ »

ـ « نعم .. »

أخفى (أوبريان) إبهامه وفرد يده فى وجه (ونستون) وقال :

ـ « كم إصبعًا ترى ؟ »

ـ « أرى أربعة أصابع .. »

ـ « ولو قال الحزب إنها خمسة أصابع .. فكم عددها ؟ »

ـ « أربعة .. »

وانتهت كلماته بشهقة ألم .. لقد صار مقياس القرص 55 .. غمر العرق جسده ، وأطلق شهقة ألم عجز معها عن التنفس ..

ـ « كم عددها ؟ »

ـ « أربعة .. »

الآن ارتفع المؤشر إلى 60 ..

لا بد أن الإبرة ارتفعت أكثر لكنه لم ينظر لها .. ظلت الأصابع أمام عينيه .. مهتزة .. مضطربة .. لكنها بالتأكيد أربعة .

ـ « كم عددها يا (ونستون) ؟ »

ـ « خمسة !! خمسة .. خمسة !! »

ـ « لا يا (ونستون) .. أنت تكذب .. ما زلت تعتقد أنها اربعة .. كم إصبعًا ؟ »

ـ « أربعة .. أربعة .. أى شىء تريد .. فقط أوقف الألم .. »

فجأة وجد نفسه جالسًا وذراع (أوبرايان) على كتفه .. كانت قيوده قد ارتخت قليلاً .. كان يرتجف والدمع ينساب من عينيه .. فلابد أنه فقد الوعى قليلاً ..

برقة قال (أوبرايان) :

ـ « أنت بطىء التعلم يا (ونستون) .. »

ـ « لا حيلة لى فى ذلك .. كيف أمنع ما تراه عيناى ؟ »

ـ « أحيانًا تكون خمسة .. أحيانًا ثلاثة .. أحيانًا كلها مرة واحدة .. من الصعب أن تحتفظ بعقلك .. »

وأشار إلى الرجل ذى المعطف الأبيض الذى ظل بلا حركة طيلة الوقت ، فتفحص هذا حدقتى (ونستون) ونبضه وأصغى إلى صدره .. ثم هز رأسه .. فقال (ونستون) :

ـ « من جديد ! »

وسرى الألم من جديد فى جسد (ونستون) .. لا بد أن القرص مضبوط على 75 الآن .. لم يعد يلاحظ إن كان يصرخ أم لا .. وبدأ الألم يضمحل من جديد .. وفتح عينيه ..

ـ « كم عددها يا (ونستون) ؟ »

ـ « أربعة .. أعتقد أننى أرى أربعة .. أحاول أنا أراها خمسة .. »

ـ « ماذا تفضل ؟ أن تقتنعى بأنك ترى خمسة أم تراها فعلاً ؟ »

ـ « أن أراها فعلاً .. »

ـ « مرة أخرى .. »

يبدو أن الإبرة صارت على 80 .. أو 90 .. وبين جفنيه المنهكين كان يرى يدًا تكبر .. تصغر .. ترقص .. تدور .. وأدرك أنه من الصعب أن يعدها .. لأنه من الصعب أن يعرف إن كانت خمسة أصابع أم أربعة ..

ـ « كم إصبعًا ألوح بها يا (ونستون) ؟ »

ـ « لا أعرف .. لا أعرف .. سوف أموت لو أنك فعلتها ثانية .. بكل أمانة لا أعرف .. »

ـ « هذا أفضل .. »

انغرست إبرة فى ذراعه ، وشعر بدفء مريح يغمر جسده .. لقد نسى نصف الألم .. نظر فى امتنان إلى (أوبرايان) .. لم يحبه قط مثل تلك الحظة .. ليس فقط لأنه أوقف الألم .. بل لأن الشعور القديم عاوده بأن (أوبرايان) يمكن الكلام معه .. لقد عذبه (أوبرايان) إلى ما يقرب الجنون ، ومن المؤكد أنه سيرسله إلى الموت .. لا فارق .. لكنهما صديقان حميمان . بينهما حوار ما ..

ونظر له (أوبرايان) فى تعاطف وقال :

ـ « هل تعرف أين أنت ؟ »

ـ « لا أعرف .. ربما فى وزارة الحب .. »

ـ « ولماذا تحسبنا نجلب الناس هنا ؟ »

ـ « كى يعترفوا .. »

ـ « لا .. ليس هذا السبب .. حاول ثانية .. »

ـ « كى تعاقبوهم .. »

صاح (أوبرايان) :

ـ « لا ! ألم تفهم بعد ؟؟ لقد أحضرناك هنا كى نشفيك .. كى نجعلك عاقلاً .. لا نعبأ بالجرائم السخيفة التى اقترفتها ..

الحزب لايعبأ بالأفعال الظاهرة .. الأفكار هى مانبحث عنه .. نحن لاندمر أعداءنا بل نغيرهم .. هل تفهم هذا ؟ نحن لسنا محاكم تفتيش .. محاكم التفتيش فى القرون الوسطى كانت تحاكم الإنسان بتهمة الإلحاد ، لكنها فى الحقيقة نشطته .. لأنه ما من أحد من الذين احرقتهم أبدى الندم على أفكاره .. »

« فى القرن العشرين ظهر الشموليون مثل النازيين والسوفييت .. السوفييت حرصوا على أن يجردوا ضحاياهم من كل كرامة قبل إعدامهم حتى لا يعتبرهم أحد أبطالاً .. كانوا ينهكونهم بالتعذيب حتى يعترفوا بأى شىء يطلب منهم .. ويتوسلوا طلبًا للرحمة .. لكن بعد أعوام تكرر الشىء ذاته وتحول الموتى إلى أبطال .. لماذا ؟ لأن كل واحد يستطيع أن يدرك أن الاعترافات التى قدموها تحت التعذيب لم تكن صحيحة .. نحن لانكرر هذا الخطأ .. كل اعتراف يقال هنا حقيقى .. نحن نجعله حقيقيًا .. أنت تتوقع أن الأجيال القادمة تسمع عنك .. لا .. الأجيال القادمة لن تسمع حرفًا عنك ؛ لأننا سنحولك إلى غاز ونلقى بك فى الفضاء الخارجى .. ستُمحى من الماضى والمستقبل .. لن تكون قد وجدت أبدًا .. »

فكر (ونستون) :

ـ « إذن لماذا تتعبون أنفسكم بتعذيبى ؟ »

كأنما سمع (أوبرايان) ما قيل ، رد على (ونستون) :

- « ألم تفهم ما قلته لك عن المحاكمين فى الماضى ؟ نحن لا نقبل الطاعة السلبية .. حين تخضع لنا سيكون هذا بكامل إرادتك .. نحن لا ندمر المهرطق ما دام يقاومنا . نحن نعيد تشكيله .. نجعله واحدًا منا .. نحن لا نسمح بأى انحراف حتى فى الموت .. نطهر العقل قبل أن ندمره .. الوصايا الدينية تقول : « أنت لن » .. السوفييت يقولون : « أنت سوف » .. نحن نقول « أنت كذا .. » .. هكذا يموت الخونة وهم يفكرون فى الأخ الأكبر ممتنين له .. »

كان صوته قد صار حالمًا .. وأدرك (ونستون) أنه لا يمثل ولا ينافق .. بل هو يؤمن بكل كلمة يقولها .. وضايقه شعوره بالانحطاط الثقافى .. إن (أوبرايان) قد فكر فى كل خاطرة دارت أو يمكن أن تدور فى ذهن (ونستون) .. إذن (اوبرايان) ليس مجنونًا .. الاحتمال الأكبر أن (ونستون) هو المجنون ..

- « لا تحسب أنك ستهرب منا يا (ونستون) .. نحن سنحطمك ونغيرك للأبد .. سيموت كل شىء بداخلك .. ستكون مفرغًا .. ثم نملؤك بنا .. »

ثم أشار للرجل ذى المعطف .. فشعر (ونستون) بجهاز ثقيل يوضع تحت رأسه ..

- « ثلاثة آلاف .. »

وشعر بوسادتين توضعان على صدغيه فأصدر أنينًا .. هناك ألم قادم . نوع جديد تمامًا من الألم ..

ـ « هذه المرة لا ألم .. فقط أبق عينيك مثبتتين لعينى .. »

هذه المرة حدث انفجار لكنه بلا صوت .. بالتأكيد كان هناك ضوء وامض ساطع .. وبرغم أنه كان بالفعل على ظهره ، فإنه شعر كأن الضربة ألقته فى هذا الوضع . كان هناك فراغ .. كأنما قطعة انتزعت من مخه ..

ـ « لن يدوم الأمر .. الآن قل لى .. ما البلد الذى تحاربه (أوشيانيا) من البداية ؟ »

فكر (ونستون) .. كان يعرف (أوشيانيا) و(أيوراسيا) و(إيستاسيا) .. لكن أيهما كانتا فى حرب .. لا يذكر .. بالواقع لم يكن يعرف أن هناك حربًا ..

ـ « لا أذكر .. »

ـ « أوشيانيا كانت فى حرب مع (إيستاسيا) .. منذ بداية حياتك .. منذ تكوين الحزب .. منذ بداية التاريخ .. هل تذكر هذا الآن ؟ »

ـ « نعم .. »

ثم مد يده له وقد ثنى الإبهام وقال :

ـ « أنت ترى الآن خمسة أصابع .. هل تراها فعلاً ؟ »

ـ « نعم .. »

كان كل اقتراح يقدمه (أوبرايان) يسد ثغرة في ذهنه ويتحول إلى حقيقة لا ريب فيها ..

قال (أوبرايان) :

ـ « أنت على حق فيما كتبت في مذكراتك .. أنا بالفعل شخص يمكن التحدث معه .. وأنا أحب الكلام معك فعقلك قريب من عقلي ، فيما عدا أنك بالطبع مجنون .. هل تريد أن تسألني عن أي شيء ؟ »

ـ « نعم .. ماذا حدث لـ (جوليا) ؟ »

ـ « لقد خانتك . بسرعة فائقة .. فجأة احترق كل خداعها وحماقتها وسوء تفكيرها .. هذه حالة تحول كاملة .. حالة تصلح للمراجع .. »

ـ « عذبتموها ؟ »

رفع (أوبرايان) حاجبًا وقال :

ـ « السؤال التالى ؟ »

ـ « هل الأخ الأكبر موجود ؟ »

ـ « بالطبع موجود .. إن الحزب موجود ، والأخ الأكبر هو تجسيم الحزب .. »

ـ « هل هو موجود كما أنا موجود ؟ »

ـ « أنت لست موجودًا .. »

ـ « أنا موجود .. أنا واع بهويتى .. ولدت وسوف أموت .. لدى ذراعان وقدمان .. أشغل حيزًا من الفراغ ، ولايوجد جسم مادى يستطيع احتلال نفس الحيز فى نفس الوقت .. بهذا المعنى .. هل الأخ الأكبر موجود ؟ »

ـ « لا يهمك هذا .. لكنه موجود .. »

ـ « هل (الإخوة) موجودون ؟ »

ـ « لن تعرف هذا أبدًا .. حتى لو أطلقنا سراحك وعشت حتى تبلغ التسعين .. »

راح صدر (ونستون) يعلو ويهبط ، وفى النهاية سأل السؤال الذى كان يجب أن يوجهه أولاً :

ـ « ماذا فى الغرفة رقم 101 ؟ »

ـ « أنت تعرف ما فى الغرفة 101 يا (ونستون) .. الجميع يعرف .. »

وأشار للرجل ذى المعطف الأبيض ، فغرس الإبرة فى ذراع (ونستون) .. وسرعان ما غرق فى نوم عميق ..

★ ★ ★

الفصل الثامن عشر

قال (أوبرايان) :

ـ « ثمة ثلاث مراحل فى إعادة ضمك لنا .. هناك التعلم فالفهم فالقبول .. هذا وقتك كى تدخل المرحلة الثانية .. »

كالعادة كان (ونستون) يرقد على ظهره .. لكن قيوده ارتخت نوعًا . كذلك لم يعد قرص الكهرباء مرعبًا .. يمكنه تحاشيه لو أظهر ذكاء واضحًا .. فقط حين يبدى الغباء كان (أوبرايان) يستعمله . كم من الوقت امتدت هذه الجلسات ؟ لايدرى .. ربما بضعة أيام أو بضعة اشهر ..

قال (أوبرايان) :

ـ « وأنت راقد هنا تساءلت لماذا تضيع وزارة الحب كل هذا الجهد والوقت عليك .. يمكنك فهم ميكانيكية المجتمع الذى تعيش فيه لكن ليس دوافعه الخفية .. هل تذكر حين كتبت فى مذكراتك : أنا أفهم (كيف) لكن لا أفهم (لماذا) ؟ أنت قرأت كتاب (جولدشتاين) .. فهل كان فيه شىء لاتعرفه فعلاً ؟ »

سأله (ونستون) :

ـ « هل قرأته أنت ؟ »

ـ « بل وكتبته .. بالتعاون مع آخرين .. لا يوجد كتاب فردى كما تعلم .. »

ـ « هل ما فيه حقيقى ؟ »

ـ « كوصف .. نعم .. لكن خطته كلام فارغ .. تراكم المعرفة .. التنوير .. ثورة البروليتاريا .. إزاحة الحزب .. البروليتاريا لن تثور والحزب لن يزول .. ولو بعد ألف عام .. لتكن هذه نقطة البدء فى تفكيرك .. »

ثم قرب وجهه من (ونستون) وقال :

ـ « والآن ، نأتى لسؤالك (لماذا ؟) .. لماذا نريد القوة ؟ ما دافعنا ؟ هلم تكلم .. »

لم يتكلم (أوبرايان) لأن الإنهاك غلبه .. هنا عادت الحماسة إلى (أوبرايان) الذى خمن ماسيقوله (ونستون) .. سيقول إن الحزب لايريد القوة لمنفعته بل لمنفعة الجموع .. يطلب القوة لأن الجماهير مخلوقات جبانة لاتتحمل الحرية لهذا يجب أن يحكمهم من هم أقوى . إن خيار البشرية هو الحرية أو السعادة .. والغالبية تفضل السعادة ..

كاد يقول هذا حين مزق الألم جسده .. لقد حرك (أوبرايان) القرص إلى 35 ..

ـ « هذا كان غبيًا يا (ونستون) .. يجب أن تعطى إجابة أفضل .. الحزب يطلب القوة لنفسه ولا يعنينا خير الجماهير . لا تهمنا الثروة ولا الرفاهية .. فقط نريد القوة .. نحن نعرف ما نريد وفى هذا نتفوق على كل حكم دكتاتورى سابق .. النازيون والشيوعيون اقتربوا من أساليبنا لكنهم لم يعترفوا لأنفسهم قط .. زعموا أنهم يملكون القوة غير راغبين فيها .. ولفترة محدودة إلى أن يحققوا جنتهم حيث الجميع متساوون .. نحن لا نفعل كذلك .. نحن نؤمن أن القوة غاية وليست وسيلة .. المرء لا يمارس الدكتاتورية كى يشعل ثورة ، لكنه يشعل ثورة كى يمارس الدكتاتورية .. هل بدأت تفهمنى ؟ »

كان (ونستون) ينظر لوجه (أوبرايان) المسن المنهك .. هنا قرب الرجل وجهه منه وقال :

ـ « أنت تفكر فى أننى أتحدث عن القوة وأشيخ برغم ذلك .. ألا تفهم أننا خلايا .. الجسد لا يموت بموت خلية .. هل تموت أنت لو قصصت أظفارك ؟ ألم تتأمل مرة مقولة الحزب : الحرية هى العبودية ؟ ألم تفكر أنها يمكن أن

تعكس لتكون : العبودية هى الحرية ؟ الفرد وحده هش قابل للهزيمة .. الموت هو أكبر الهزائم .. لكنه لو صار عضوًا فى الحزب فسيبقى للأبد .. وما أعنيه بالقوة هو السيطرة على العقل وليس المادة .. إن سيطرتنا على المادة مطلقة .. »

ـ « لكنكم لستم سادة الكوكب .. ماذا عن (أيوراسيا) و (إيستاسيا) ؟ »

ـ « لا يهم .. سنغلبهم يومًا ما .. ولو لم يحدث فإننا لن نذكرهم وهكذا فلا وجود لهم .. »

ـ « الإنسان مجرد طفل فى هذا الكون .. »

ـ « كلام فارغ .. عمر الكون هو عمر وجوده بالنسبة للوعى البشرى .. »

ـ « الصخور مليئة بعظام الديناصورات و (المستودون) التى عاشت قبل أن يوجد الإنسان .. »

ـ « وهل رأيت انت تلك العظام ؟ بالطبع لا .. علماء القرن التاسع عشر اخترعوها .. قبل الإنسان لا يوجد شىء .. بعد الإنسان لا يوجد شىء .. خارج الإنسان لا يوجد شىء .. »

ـ « والنجوم ؟ إنها شموس على بعد ملايين الأميال عنا .. »

ـ « النجـوم ؟ ما قيمة هـذه الشـعلات على بعـد بضـعة كيلومترات منا ؟ أتحسب أنه ليس فى وسعنا ابتكار علم فلك بديل ؟ يمكن أن نجعل النجوم قريبـة أو بعيدة حسب حاجـة الحزب .. هل نسيت التفكير المزدوج ؟ »

رقد (ونستون) شاعرًا بالقهر .. فالإجابات السريعة تسحقه سحقًا .. لكنه كان يعرف أنه محق ..

ـ « إن التقدم فى عالمنا هو تقدم للحصول على مزيد من الألم والعذاب .. من دون العذاب كيف تسيطر على الإنسان ؟ الفلاسفة القدامى أسسوا فلسفاتهم على الحب والمسـاواة ، بينما فلسفتنا تأسست علـى المقت .. فـى عالمنـا لـن تكـون هناك عواطف إلا الخوف والغضب والانتصـار وإذلال النفس .. لقد نجحنا فى قطع علاقة الابن بـالأب وعلاقة الرجل بـالمرأة .. لن يثق الإنسان ثانية فى زوجته أو ابنـه .. لكن فى المستقبل لن يحتاج أحد إلى زوجة أو صديق .. لن يكون هناك حب إلا حب الأخ الأكبر .. لن يكون هناك إخلاص إلا الإخلاص للحزب .. لا فرحة إلا فرحة النصر أمام عدو مهزوم .. لن نحتاج إلـى العلم ولا الفن .. لو أردت تخيل الغد فتخيل حذاء ثقيـلاً يهشم وجهًا بشريًا .. يهشمه للأبد .. (جولد شتاين) وأعوانـه سيعيشـون للأبد .. سيكونون دائمًا موجودين كى نشتمهم ونبصق عليهم ونفتش عنهم .. أرى أنـك بدأت تفهمنـى .. لكنك ستفعل مـا هو أكثر من الفهم .. ستشارك فى هذا العالم .. »

نهض (أوبرايان) قليلاً وقال :

ـ « لا تستطيع .. »

ـ « ما الذى لا أستطيعه ؟ »

ـ « لن تؤسس عالمًا على المقت والحقد .. لن يتحمل أحد ذلك .. سوف يتحلل هذا العالم .. سوف ينتحر .. »

ـ « كلام فارغ .. أنت تعتقد أن المقت أصعب من الحب .. لِمَ لا ؟ ولنفرض أن هذا صحيح فما الفارق ؟ »

من جديد تركت كلمته حالة من العجز لدى (ونستون) .. كان لا يريد الجدل كى لا يتعرض للقرص مرة أخرى ، لكنه قال :

ـ « لا أعرف .. لكن شيئًا ما سيهزمك .. الحياة نفسها ستهزمك .. الناس ستنهض وتعرف الحقيقة وتمزقكم .. »

ـ « هل ترى أى أثر يدل على هذا ؟ »

ـ « لا .. لكنى أؤمن بقوة روح الإنسان .. »

ـ « وأنت تعتبر نفسك إنسانًا ؟ »

ـ « نعم .. »

- « وتعتبر أنك أعلى منا مقامًا بقسوتنا وخداعنا ؟ »

- « نعم .. أعتبر نفسى أعلى .. »

هنا سمع (ونستون) صوتًا مسجلاً .. إنه صوته فى تلك الليلة التى زار فيها (أوبرايان) كان يعده بأنه سيفعل أى شىء بما فيه القتل والتخريب من أجل الإخوة ..

قال له (أوبرايان) :

- « والآن قم من على السرير .. إذن أنت آخر إنسان فى هذا العالم ووارث الضمير البشرى .. سأريك ما صرت إليه .. هلم انزع ثيابك .. »

نزع (ونستون) ثيابه التى لا يذكر إن كان نزعها طيلة تلك الفترة أم لا .. تحت الأوفرول كان جسده ملفوفًا بخرق صفراء متسخة يفترض أنها كانت ثيابًا داخلية .. رأى أن هناك مرآة ثلاثية قربًا منها .. وصدرت منه صرخة لا إرادية ..

إنه يرى هيكلاً عظيمًا منحنيًا يدنو منه .. مجرد منظره مخيف وليست فقط حقيقة أنه هو بالذات .. الوجه بائس نحيل والفم ممصوص للداخل .. لقد تغير وجهه أبعد بمراحل مما تغير هو من الداخل .. جسده قذر متسخ وبين القاذورات توجد ندوب حمراء لجروح .. كتفاه منحنيان للأمام بحيث صار صدره مقعرًا وعنقه منثنيًا تحت ثقل الجمجمة ..

ـ « قلت مرة إن وجهى ـ كعضو حزب ـ يبدو مسنًا فماذا عنك أنت ؟ انظر إلى كل القذارة بين أصابع قدميك .. انظر إلى القرحة الملتهبة فى قدمك .. هل تعرف أنك كريه الرائحة كالكبش ؟ ربما لم تعد تلاحظ هذا .. انظر لهزالك .. بوسعى أن يلتقى إبهامى وسبابتى حول عضلة عضدك .. بوسعى أن انتزع عنقك كالجزرة .. لقد فقدت خمسة وعشرين كيلوجرامًا منذ جئت إلى هنا .. فقدت شعرك كله .. افتح فمك .. كم سنًا بقيت لك ؟ عشرًا ؟ إحدى عشرة ؟ »

ومد يده فى فم (ونستون) وانتزع أحد القواطع ، ثم ألقى به عبر الزنزانة ..

ـ « هذا هو الرجل الأخير .. لو كنت أنت إنسانًا فإن ما تراه هو الإنسانية كلها .. والآن ارتد ثيابك ثانية .. »

ارتدى (ونستون) ثيابه والرثاء يتملكه على ما وصل إليه جسده .. وفجأة من دون أن يعرف أنه فعلها جلس على الأرض وراح يبكى بحرقة .. كان يعرف أنه يثير الاشمئزاز .. شىء قذر نحيل متسخ بثياب ممزقة يبكى .. لكنه لم يستطع ألا يفعل ..

ـ « أنت من فعل هذا بنفسه يا (ونستون) يوم اخترت أن تقف ضد الحزب .. نحن قد أهناك .. ضربناك .. وفعلت

أنت كل شيء ممكن .. تمرغت على الأرض طلبًا للرحمة وأفشيت أسرار كل شخص وبكيت ألمًا .. هل تعرف اندحارًا آخر واحدًا لم تقم به ؟ »

نظر له من بين الدموع وقال :

ـ « أنا لم أخن (جوليا) .. »

نظر له (أوبرايان) مفكرًا وقال :

ـ « صحيح .. صحيح .. أنت لم تفعل هذا بالذات .. »

غمر الإجلال لـ (أوبرايان) قلب (ونستون) ثانية .. يا للذكاء ! يا للذكاء ! لم يفشل قط فى فهم ما يقال له . لقد تكلم عنها .. حكى عن لقاءاتهما .. خيانتها للحزب .. تعاملها مع السوق السوداء .. عنوانها وعاداتها .. لكنه لم يكف عن حبها .. بهذا هو لم يخنها .. (أوبرايان) فهم هذا على الفور ..

ـ « قل لى .. متى يطلقون على الرصاص ؟ »

ـ « ربما استغرق هذا وقتًا طويلاً .. أنت حالة صعبة .. لكن لا تقلق .. سوف نشفيك وفى النهاية سيطلقون الرصاص عليك .. »

* * *

الفصل التاسع عشر

بدأت صحته تتحسن وازداد سمنة يومًا بعد يوم ..

الزنزانة كانت مريحة ، ففيها فراش ووسادة ومقعد للجلوس عليه .. سمحوا له بالاستحمام بماء دافئ وأعطوه ثيابًا جديدة نظيفة . لقد ضمدوا قرحة قدمه بمرهم ملطف وركبوا له طاقمًا من الأسنان الصناعية ..

الطعام جيد .. ثلاث وجبات مع لحم فى الوجبة الثالثة ، بل إنهم سمحوا له ذات مرة بعلبة تبغ ، وقد حصل على ثقاب من الحارس الصموت .. وقد حرص على أن يقسم السجائر ليدخن نصف واحدة بعد كل وجبة ..

راح يمضى الوقت فى الفراش مستمتعًا بالشعور بأن قواه تعود إليه .. ومن حين لآخر يتحسس جسده ليتأكد من أن عضلاته تزداد استدارة وجلده يغدو مشدودًا أكثر .. وراح يجرب المشى فى الزنزانة على سبيل الرياضة ..

الآن فقط كان يدرك سذاجة محاولته لمواجهة الحزب .. سبعة أعوام وشرطة الأفكار تراقبه كما تراقب الخنفسة تحت العدسة .. ما من فكرة لم يعرفوها .. ما من عمل لم

يسجلوه .. بل إنهم أعادوا الغبار الأبيض الموجود على غلاف مفكرته .. كانوا قد أعطوه قلمًا صغيرًا وما يكتب عليه .. فأمسك بالورقة وكتب عليها بحروف خرقاء :

الحرية هى العبودية

ثم من دون لحظة توقف كتب تحتها هذه الكلمات :

5 = 2 + 2

لقد قبل كل شىء .. التاريخ قابل للتغيير .. التاريخ لم يتغير قط .. (أوشيانيا) كانت دومًا فى حرب مع (إيستاسيا) .. ما أسهل الأمر .. فقط استسلمْ ولسوف يكون كل شىء على ما يرام .. كأنما كنت تقاوم التيار فترة ثم فجأة أدرت ظهرك وسبحت معه .. فلم يتبدل شىء ..

إن الغباء مهم للمرء مثل الذكاء .. وبالمثل يصعب الوصول إليه ..

سوف يعدمونه لكن لاتوجد طريقة لمعرفة متى .. ربما بعد عشر دقائق وربما بعد عشر سنين .. ربما يرسلونه لمعسكر اعتقال .. لكنه كان يعرف أنهم قبل إعدامه سيكررون ذات دراما الاعتقال من جديد .. التقاليد التى لايتكلم عنها أحد لكنها مؤكدة ، هى أنهم يطلقون عليك النار فجأة .. على مؤخرة رأسك وأنت تمشى من زنزانة إلى زنزانة ..

لقد تغيرت أشياء كثيرة فيك . تعلم أنـك كـى تحتفظ بسر فعليك أن تداريه حتى عن نفسك .. فقط اعـرف أنه موجـود لكن لا تتركه يخرج إلى السطح على أية صورة ذات اسم .. لا يجب فقط أن تفكر بالشكل الصحيح .. بل تشعر بالشكل الصحيح .. تحلم بالشكل الصحيح ..

سوف يطلقون الرصاص . ولسوف تعرف ذلك في اللحظة الأخيرة قبل اختراق الرصاصة لمخك .. في هذه اللحظة فقط سيخرج كل المقت للحزب .. كل ما كنت تخفيه .. سيعرفون أنهم نسفوا عقلك قبل أن يصلحوه تمامًا .. عندئذ تكون هذه هى الحرية ..

سمع صوت خطوات ثقيلة خارج الغرفـة ، وانفتـح البـاب المعدنى ثم دخل (أوبرايان) الزنزانـة .. خلفـه كـان ضـابط شمعى الوجه وحراس بثياب سود ..

- « انهض وتعال هنا .. »

نهض (ونستون) فأمسك (أوبرايـان) كتفيـه بيديـه القويتين وقال :

- « لقد فكرت فى خداعى .. كان هذا عملاً أحمق .. قـف وانظر لى .. »

ثم صارت لهجته أهدأ :

ـ « أنت تتحسن .. لكنك لا تحرز تقدمًا عاطفيًا .. قل لى ولا تكذب .. ما مشاعرك الحقيقية نحو الأخ الأكبر ؟ »

ـ « أنا .. أكرهه .. »

ـ « تكرهه . عظيم .. لقد جاء وقت الخطوة الأخيرة .. يجب أن تحب الأخ الأكبر .. لا يكفى أن تطيعه .. »

ثم دفع بـ (ونستون) نحو الحراس وقال :

ـ « غرفة 101 .. »

* * *

الفصل العشرون

هذه الغرفة كانت تحت الأرض بعدة أمتار ..

كانت أكبر من باقى الغرف التى جربها ، لكنه لم يلحظ ما يحيط به .. كل ما لاحظه هو أن هناك منضدتين أمامه ، وعلى كل منهما غطاء من الجوخ الأخضر . تم تقييده إلى مقعد بحيث لا يستطيع تحريك شىء .. حتى رأسه .. وكانت هناك وسادة خلف رأسه ترغمه على النظر إلى الأمام ..

بعد قليل انفتح الباب ودخل (أوبرايان) ..

ـ « سألتنى من قبل عن محتوى الغرفة 101 فقلت لك إنك تعرف الإجابة .. محتوى الغرفة هو أسوأ شىء فى العالم .. »

ثم انفتح الباب ودخل حارس يحمل شيئًا صنع من السلك .. صندوقًا أو علبة لا يعرف .. وخاصة مع الوضع الثابت الذى كان عليه ..

ـ « أسوأ شىء فى العالم يختلف من شخص لآخر .. بين الموت حرقًا أو غرقًا أو على خازوق .. بالنسبة لبعض الناس هو شىء بسيط وربما ليس مميتًا .. »

الآن رأى (ونستون) الشىء .. كان جسمًا مستطيلاً له مقبض من أعلى لحمله ومقدمته تشبه قناع لعبة الشيش .. ولاحظ أن الشىء مقسم طوليًا إلى جزأين .. وهناك مخلوقات فى كل نصف .. إنها فئران ..

ـ « فى حالتك .. أسوأ شىء فى العالم هو الفئران .. »

هنا بدأ الرعب يجتاح (ونستون) .. ثم فهم معنى أن هذا القفص يشبه القناع ، فشعر بأمعائه تسيل هلعًا ..

صرخ :

ـ « لن تفعل هذا ! ليس هذا بوسعك ! »

تكلم (أوبرايان) بطريقة ناظر المدرسة التى يستعملها أحيانًا .. ونظر إلى بعيد كأنما يخاطب المشاهدين .

ـ « ليس الألم كافيًا وحده .. أحيانًا يتحدى المرء الألم حتى وهو يموت .. لكن بالنسبة لكل إنسان هناك ما يتجاوز حد الجبن والشجاعة .. حين تسقط من جبل فليس من الجبن أن تفتش عن حبل .. إنها غريزة .. الفئران نوع من الضغط لا تستطيع تحمله لهذا ستفعل ما نطلب منك .. »

ـ « لكن ما هو ؟ كيف أفعل ما لم أعرفه ؟ »

قال (أوبرايان) :

ـ « الفئران فى هذه البقعة من المدينة آكلة لحوم .. هل تعرف أن الأم لاتجرؤ على ترك رضيعها أكثر من دقيقتين وإلا ظفرت به ؟ إن لديها حاسة خارقة لتبين متى تكون ضحيتها عاجزة .. »

وحمل القفص ليصير على بعد أقل من متر من (أوبرايان) ..

ـ « ضغطت الرافعة الأولى .. إن القناع سيثبت على وجهك بلا مخرج .. حين أضغط الرافعة الثانية ينفتح الباب .. ستخرج هذه الوحوش الجائعة كأنها طلقات الرصاص .. أحياناً تبدأ بالعينين وأحيانًا تخترق الخدين لتلتهم اللسان .. »

كان القناع الآن قريبًا جدًّا ، والفئران تعرف ما هو آت .. رائحتها الكريهة تزكم أنفه .. فأر عجوز ذو حراشف جاء من البالوعات يقف على القضبان يتشمم الهواء .. من جديد استبد الهلع بـ (ونستون) .. إنه معدوم الحيلة أعمى بلا عقل ..

قال (أوبرايان) كأنه يحاضر :

ـ « كان هذا عقابًا شائعًا فى الصين الإمبراطورية .. »

كان يفكر كالمجنون . لاتوجد طريقة تقيه من الفئران إلا بأن يضع جسدًا بشريًا آخر بينه وبينها ..

هكذا صرخ :

ـ « افعلوا هذا مع (جوليا) ! افعلوا هذا مع (جوليا) ! ليس أنا ! لا أبالى بها ! مزقوا وجهها حتى العظام .. ليس أنا ! »

كان يسقط فى ظلمات هائلة بعيدًا عن الفئران .. خارج حدود الكون .. إلى الخلجان ما بين النجوم .. فقط بعيدًا بعيدًا بعيدًا بعيدًا ..

القفص ما زال يلامس خده ، لكنه سمع صوت (كليك) فعرف أن القفص يُغلق ولا يُفتح ..

* * *

الفصل الواحد والعشرون

كان مقهى (شجرة الكستناء) خاليًا تقريبًا ، وسقط شعاع شمس على منضدة مكسوة بالغبار .. كانت هذه الساعة الخامسة عشرة الموحشة ، ومن شاشة تليسكرين خرجت موسيقا معدنية .

جلس (ونستون) فى ركنه المعتاد يرمق كأسه الفارغة .. ومن حين لآخر يرمق الوجه العريض على الجدار المقابل :

الأخ الأكبر يراقبك

كما يقول التعليق .. وجاء الساقى يملأ كأسه بجين النصر .. ثم وضع قطرات من زجاجة أخرى لها سدادة .. كان هذا هو السكارين بنكهة القرنفل .. الطلب المخصوص للمقهى ..

راح يرمق الشاشة .. متوقعًا أن يسمع بيانًا من وزارة السلام .. إن الأخبار مقلقة ، فجيش (أيوراسيا) (إن أوشيانيا كانت دومًا فى حرب مع أيوراسيا) يتحرك بسرعة مفزعة جنوبًا .. يبدو أن الكونغو كانت مسرح قتال ، وأن (برازفيل) و(ليوبولدفيل) فى خطر . ليس الخطر هو فقد وسط إفريقيا ، بل إن حدود (أوشيانيا) ذاتها فى خطر ..

لقد ازداد سمنة منذ أطلقوا سراحه واستعاد لونه .. بل إنه صار ورديًا .. يأتيه الساقى بمجلة التايمز والشطرنج ، وقد فتح المجلة على لغز شطرنج .. إنهم يعرفون عاداته ..

هو لم يعد يعد مشروباته .. لا يهم .. من حين لآخر يقدمون له قصاصة ورق متسخة عليها أرقام يقولون إنها فاتورته فيدفعها دون تدقيق .. إنه الآن يمارس عملاً مجزيًا .. عملاً أقرب للبطالة ..

جاء الصوت من التليسكرين :

ـ « مطلوب منكم التأهب لسماع أنباء فى غاية الأهمية فى الساعة 30 : 15 .. أنباء مهمة جدًا .. »

شعر بتوتر .. معنى هذا أن هذه الأنباء من الجبهة ، وهى سيئة على الأرجح .. لو سيطرت جحافل (أيوراسيا) على إفريقيا كلها فمعنى هذا تقسيم (أوشيانا) إلى نصفين .. معنى هذا تدمير الحزب ! وتصارعت عدة عواطف فى داخله .. طبقات عدة لا يمكن ابدًا أن تتبين أيها كان هو الأكثر عمقًا ..

لاشعوريًا راح يعبث بإصبعه فى الغبار على المنضدة وكتب :

$$2 + 2 =$$

قالت له : لن يصلوا لأعماقك .. لكنهم وصلوا لأعماقك فعلاً ..

قال له (أوبرايان) : ما سيحدث لك هنا سيستمر للأبد .. كان هذا حقًا ..

لقد قابلها .. لم يعد هذا خطرًا .. لم يعودوا يخشونك ولا يهتمون بما تفعله الآن .. كان يومًا باردًا فى الحديقة وهو يهرع بعينين دامعتين ، حين رآها على بعد عشرة أمتار .. لم يتعرفها فى البدء ومر بها دون التفات ، ثم استدار وبدأ يتبعها .. لم تتكلم .. مشت عبر الأعشاب كأنما هى تحاول التخلص منه .. كان الطقس باردًا والريح تصفر عبر الغصون ..

لا توجد هنا تليسكرين ، لكن هناك بالتأكيد مكبرات صوت وكاميرات .. لكن لا يهم ..

عرف ما تغير فيها .. كان وجهها أكثر كآبة ، وهناك ندبة على جبهتها يخفيها شعرها ..

لم يحاولا الكلام ولم يلمسها .. فقط رأى فى عينيها نظرة توحى بالمقت أو الاحتقار ..

قالت له بجرأة :

ـ « أنا خنتك .. »

ونظرت له بكراهية من جديد .. وقالت :

ـ « حينما يهددونك بشىء لا تطيقه تقول لهم : لا تفعلوا هذا .. خذوا أحدًا آخر سواى .. وتقنع نفسك بأنك لم تعن ما قلت وإنما كنت تخدعهم .. هذا ليس صحيحًا .. لحظتها لا تبالى لحظة بمن تحب .. كل ما تريد هو أن يتركوك وشأنك .. »

ـ « كل ما تريد هو أن يتركوك وشأنك .. »

ـ « وبعد هذا لاتشعر نحو ذلك الشخص بالشىء ذاته .. »

قالت شيئاً عن اللحاق بالمترو ، ونهضت .. فقال لها :

ـ « سنلتقى ثانية .. »

ـ « نعم .. سنلتقى ثانية .. »

أراد أن يرافقها لمحطة المترو ، لكن الفكرة بدت له لاتطاق .. لم يكن يريد شيئاً مثل العودة إلى المقهى .. فجأة بدا له أكثر الأماكن جاذبية .. يشعر بالحنين نحو المنضدة ورقعة الشطرنج ..

هكذا سمح لنفسه بأن ينفصل عنها وسط مجموعة صغيرة من الناس .. ثم أبطأ فاستدار متجهًا فى الطريق العكسى .. ثم نظر للوراء .. لم يكن فى الشارع أكثر من اثنى عشر ماشيًا لكنه لم يرها ..

ـ « هذا ليس صحيحًا .. لحظتها لاتبالى لحظة بمن تحب .. كل ما تريد هو أن يتركوك وشأنك .. » .. هو لم يبال فقط .. بل تمنى أن تكون هى مكانه ..

كان يعمل عملاً ما فى لجنة فرعية من لجنة فرعية فى

وزارة الحقيقة ، تراجع الطبعة الجديدة من قاموس اللغة الجديدة .. يقدم تقارير عن أشياء مثل هل ينبغى وضع الفاصلة داخل الأقواس أم خارجها .. كان هناك أربعة مثله فى لجنة الفاصلة .. وكانت هناك أيام يجتمعون فيها وينفصلون معترفين بأنه لا يوجد ما يفعلون ..

ظل يرمق لغز الشطرنج حيث جلس فى المقهى ، حين دوى صوت نفير عال يخرق الهواء .. النصر ! لابد من نصر حين يدوى النفير قبل الأخبار .. حتى السقاة توقفوا وأرهفوا السمع ..

الآن جاء صوت من التليسكرين لكن كان من العسير تبينه وسط صوت التهليل من الخارج .. لقد حدث ما توقعه بالضبط .. أسطول بحرى عملاق قد وجه ضربة مفاجئة لمؤخرة خطوط العدو .. وراحت عبارات تدوى مثل :

ـ « عملية استراتيجية واسعة .... تنسيق بارع ...... هزيمة منكرة ...... نصف مليون أسير ...... السيطرة على إفريقيا كلها .... الحرب دنت من نهايتها ... أعظم نصر فى تاريخ البشرية .. »

راحت قدماه تتحركان من تحت المنضدة .. كان يركض

مع الجموع فى الشارع .. الأخ الأكبر ! العملاق الذى يحمى العالم ! الصخرة التى حطمت جحافل آسيا نفسها عليها .. منذ عشر دقائق كان يتساءل إن كانت الأخبار من الجبهة تعنى النصر أم الهزيمة .. لقد تغيرت أشياء كثيرة منذ كان فى وزارة الحب ، لكن التغيير الأكبر لم يأت إلا الآن ..

كان يرى نفسه الآن فى وزارة الحب .. يعترف بكل شىء عن أى واحد .. يمشى فى ممر أبيض عريض كأنما هو يمشى فى ضوء الشمس .. والرصاصة التى تمناها كثيرًا تخترق ظهره ..

ونظر إلى الوجه الهائل للأخ الأكبر .. لقد احتاج إلى أربعين سنه كى يعرف نوع الابتسامة التى يداريها هذا الشارب الأسود .. أواه على سوء الفهم القاسى عديم الجدوى ! أواه على المنفى الإرادى بعيدًا عن الصدر الذى يحبك ! وتدحرجت دمعتان لهما نكهة (الجين) على جانبى أنفه .. لكن كل شىء على ما يرام .. كل شىء على ما يرام ..

لقد انتهت المعركة .. وانتصر على نفسه ..

لقد أحب الأخ الأكبر ..

جورج أورويل

١٩٤٤



مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

1984

(الجزء الثانى)

51

فى العام 1984 لا يمكنك أن تكون وحيدًا فى أى مكان .. حتى التفكير مخاطرة داهمة ؛ لأن شرطة الأفكار تبحث عن المفكرين ، وتعرف كيف تجدهم .. وعندها يجب أن يتم الاعتراف الكامل قبل القتل ..

فى العام 1984 خذ الحذر من تعبيرات وجهك .. لا تبق ... أبدًا ... اللازم .. ولا تثق أبدًا فيمن تحب ، لو بقى أشخاص يمكن أن تعتبرهم كذ...

فى العام 1984 قد تنسى الكثير ، لكن تذكر أن الأخ الأكبر يراقبك ..



مطابع سلاح التلميذ

العدد القادم
موبى ديك

الثمن فى مصر ... [illegible]
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم